الموسوعة النفسانية

علم النفس

إصدارات: مؤسسة العلوم النفسية العربية 2025

عبـد الرحمـان ابراهيـم

شارك في المراجعة

رئيم علي - نجود سلطان

هبة الكردي - ليلى الصواف

الفهـــــــــرس

حـــرف الثـــــــاء	5
إدوارد لي ثورندايك Edward Lee Thorndike	6
لويس ليون ثيرستون Louis Leon Thurstone	12
حـــرف الـــــــدال	14
تشارلز داروين Charles Darwin	15
رينيه ديكارت René Descartes	22
جان اوفيد ديكرولي Ovide Decroly Jean	29
هنري ديلاكروا Henri Delacroix	32
جون ديوي John Dewey	35
حـــرف الـــــــراء	43
دافيد رابابورت David Rapaport	44
فرانسوا رابليه François Rabelais	48
فولفجانج راتكه Wolfgang Ratke	54
محمد بن يحيى بن زكريا الرازي Al Rhazes	57
أوتو رانك Otto Rank	63
إسحاق راي Isaac Ray	74
وليم رايخ Wilhem Reich	76

يحيى رخاوي Yahia Rakhawy	81
كارل روجرز Carl Rogers	87
هيرمان رورشاخ Hermann Rorschach	92
جان جاك روسو Jean- Jaques Rousseau	95
جيزا روهايم Géza Róheim	98
ثيوديل ريبو Théodule Ribot	103

حـــرف "التـــاء"
إدوارد لـــي تورنداي ـــك
لويـــس ليـــون تيرستـــون

إدوارد لي ثورندايك Edward Lee Thorndike

إدوارد لي ثورندايك (1874- 1949 Edward Lee Thorndike) أميركي، اشتهر بنظريته المعروفة باسم نظرية المثير – الاستجابة Stimulus– response theory، وبأبحاثه في مجال التعلم، حتى ليقال إن قوانين ثورندايك في التعلم تجعل كل باحث في هذا المجال إما معه أو عليه .

ثورندايك من أسرة بورجوازية متدينة، إلا أن طريقة فهم أسرته للدين جعل الأبناء يتمردون على التزمت الذي كان عليه سلوك الأبوين، ولم يحاول ثورندايك من بعد دخوله الجامعة أن يصلي في الكنيسة، ولم يفرض على أولاده التوجهات الدينية، وكان يقول إن الكنيسة لها فائدتها كمؤسسة إنسانية، ولكن الإنسان يستطيع أن يعيش حياة فاضلة بدونها. وكان إخوة ثورندايك على مستوى عالٍ من الذكاء، فثلاثة من أخوته الاربعة عملوا بالتدريس في جامعة كولومبيا .

تزوج ادوارد في عمر الثالث والعشرون من إليزابيث عام١٩٠٠م، وانجبا خمس أولاد، من بينهم فرانسيس التي أصبحت عالمة رياضيات.

بسبب قراءته لكتاب وليام جيمس "مبادئ علم النفس" كان اختيار ثورندايك لمجال علم النفس كمجال دراسي تخصص فيه ووهب له من عمره أربعين عاما، يجري فيها البحوث ويحاضر .

إدوارد لي ثورندايك (1874- 1949) Edward Lee Thorndike أميركي، اشتهر بنظريته المعروفة باسم نظرية المثير – الاستجابة Stimulus– responsetheory، وبأبحاثه في مجال التعلم

وكان يقول إن الكنيسة لها فائدتها كمؤسسة إنسانية، ولكن الإنسان يستطيع أن يعيش حياة فاضلة بدونها

في الخامسة والعشرين من عمر ثورندايك نشر أول كتاب له "ذكاء الحيوان (1898) "Animal Intelligence ويعتبر الأساس لكل ما قال به من بعد ذلك من نظريات ومبادئ .

ثورندايك ارتباطي يعتبر إن الدراسة الموضوعية الوحيدة التي يمكن أن يهتم بها علم النفس هي دراسة السلوك، ومن أجل ذلك توجه بهذه الدراسة إلى الحيوان لسهولة الملاحظة والتجريب عليه. وهو اختزالي، أي يردّ السلوك إلى وحدات أبسط، وأبسط وحدة يمكن أن يُختزل إليها السلوك هي وحدة المثير الاستجابة، ومنهج البحث فيها لا بدّ أن يتوافق معها، وكان استخدامه للمتاهة رائداً، وأجرى تجاربه في التعلم على الصيصان وقطط صغيرة في أقفاص بحيث ترى الطعام خارجها، وكان على الحيوان أن يحاول الخروج من القفص لينال جائزة الطعام، وذلك بالضغط على سُقّاطه، ويأتي الحيوان حركات عشوائية هدفها استكشاف طريقة الخروج حتى ليطيش الكثير منها، إلا أن إحداها تنجح، ونجاحها يجعل الحيوان في المحاولات التالية يستبعد الحركات عديمة الفائدة. ولجأ ثورندايك إلى أمثال هذه الحيل لدراسة السلوك الإنساني، ودراساته هي أساس نظريته في التعلم، وهي التي اهتدى بها إلى مبادئ أو قوانين اشتُهرت عنه .

أولها: قانون الأثر Law of Effect ، وهو إسهامه الكبير في نظرية التعلم، ومفاده أن أي سلوك يثبت فاعليته أو جدواه في موقف من المواقف فإنه يرتبط به، بحيث إذا تكرر الموقف فإن الغالب أن يتكرر السلوك نفسه معه. وعلى عكس ذلك فإن السلوك الذي لا يثبت جدواه في موقف، فإن هذا الموقف إذا تكرر فإن السلوك يُستبعد غالباً، وبمعنى آخر فإن الآثار السارة تقوي الارتباط بين الاستجابة ومستدعياتها، بينما الآثار السيئة أو المؤلمة أو غير المريحة تُضعف هذا الارتباط، فتكون النتيجة أن المتعلم يتجنب السلوك الذي ارتبط بالآثار السيئة أو الذي استجلب عليه العقاب، ويعدل من سلوكه

بسبب قراءته لكتاب وليام جيمس "مبادئ علم النفس" كان اختيار ثورندايك لمجال علم النفس كمجال دراسي تخصص فيه ووهب له من عمره أربعين عاما، يجري فيها البحوث ويحاضر

ثورندايك ارتباطي يعتبر إن الدراسة الموضوعية الوحيدة التي يمكن أن يهتم بها علم النفس هي دراسة السلوك، ومن أجل ذلك توجه بهذه الدراسة إلى الحيوان لسهولة الملاحظة والتجريب عليه

إلى أن يعثر على السلوك المناسب، وهو الذي تتحقق له من المكافأة دون العقاب .

والقانون الثاني هو: قانون التمرينLaw of Exercise ، ويعني أن الرابطة بين المؤثر والاستجابة تقوى بالاستعمال، وتضعف بعدم الاستعمال، أي أن التكرار يؤدي إلى زيادة الارتباط .

والقانون الثالث هو: قانون انتشار الأثرLaw of Spread Effect ، ويقصد به أن الآثار السارة أو المؤاتية التي تعقب السلوك المؤاتي، لا تقوي فقط الارتباط بين المؤثرات والاستجابات المباشرة في الموقف، ولكنها تقوي أيضاً الارتباط بين أية مؤثرات أخرى واستجاباتها، والتي يكون وجودها في الموقف غير مباشر .

وهذا النموذج الذي ساقه ثورندايك للتعلم عند الحيوان بالمحاولة والخطأ، هو نفسه النموذج الذي يجعله لكل تعلم إنساني، ومعنى ذلك أنه في أي موقف يحاول المتعلم أن يصدر السلوك الصحيح، فتكون منه محاولات صغيرة تؤتي ثمارها، فيضيفها إلى مخزون خبرته، ويتعدل بها سلوكه، وأما المحاولات التي ليست منها فائدة فإنه يستبعدها, وأن المتعلم لكي يتعلم لا بدّ أن يحاول المرة بعد المرة، ومحاولاته تتعدد بها الاستجابات وتختلف، وبالإضافة إلى ما يحتفظ به من خبرة مؤاتية، فإن أية استجابة تشبه الاستجابة المؤاتية أو تحدث متقارنة معها آنياً فإنها تتثبت، بينما الاستجابات التي حدث أن تتشابه والاستجابة غير المؤاتية فإنه يُسقطها من حسابه وينساها. ويؤكد ثورندايك بهذا النموذج أن التعلم عملية ميكانيكية بسيطة لا علاقة لها بقدرة الذكاء، وأن السلوك المتعلم أبسط مما يصنع منه البعض. وهو يذهب إلى ما ذهب إليه لأنه كان يجري بحوثه على الحيوان في المقام الأول، ولم يرَ أن السلوك الإنساني يختلف في النوع عن السلوك الحيواني. وإذا كان الحيوان من الممكن أن يتعلم بالارتباط، وبالصدفة، وبالمحاولة

قانون الأثر Law of Effect، وهو إسهامه الكبير في نظرية التعلم، ومفاده أن أي سلوك يثبت فاعليته أو جدواه في موقف من المواقف فإنه يرتبط به، بحيث إذا تكرر الموقف فإن الغالب أن يتكرر السلوك نفسه معه

قانون التمرين Law of Exercise، ويعني أن الرابطة بين المؤثر والاستجابة تقوى بالاستعمال، وتضعف بعدم الاستعمال، أي أن التكرار يؤدي إلى زيادة الارتباط

والخطأ، وبرغم أن الذكاء عند الحيوان يختلف عن الذكاء عند الإنسان، ومع ذلك فالحيوان يحل المشاكل، فإذن لا تحتاج عملية حل المشاكل إلى العقل ولكنها عملية ميكانيكية. وقانون الأثر عند ثورانديك يصف كيف يمكن بلوغ الحل دائماً. ولقد جابهت ثورندايك وهو يجري تجاربه مسألة الاختلاف في الذكاء، ولم يرَ أن عامل الذكاء يمكن أن يحيد به عما قال، فالذكاء هو العامل الذي ييسر الربط بين المثير والاستجابة وليس أكثر من ذلك، وكلما كانت سرعة المتعلم على استحداث الربط بين المثير والاستجابة كلما كان أذكى، والإنسان أذكى من الحيوان لأنه يربط أسرع، غير أ مجالات هذا الربط تختلف، وتبعاً لذلك فإن الذكاء درجات، وهو أيضاً ذكاء مجاله الارتباطات المجردة، وذكاء مجاله الارتباطات العينية، وذكاء مجاله الارتباطات الاجتماعية، وقد يكون لشخص ذكاء دون ذكاء، فقد يكون أحد الناس أذكى في الرياضيات، بينما آخر ذكاؤه عملية اجتماعي. وكانت لآراء ثورندايك هذه التي اختزل بها كل الأنشطة الذهنية والنفسية وجعلها مجرد روابط بين المثيرات والاستجابات، آثار أشاعت الاضطراب في التوجهات العلمية لكثير من علماء النفس، لم يمكن التغلب عليها إلا بدراسات مدرسة الغشطلت على التعلم بالاستبصار. وكانت الدافعية من المسائل التي تهدد نظريات ثورندايك إلا أنه تغلب عليها، بأن قال إن الدوافع هي التي تجعل المتعلم يتجاوب مع الموقف التعليمي، والدوافع عوامل تسيطر على ردود الفعل عند المتعلم وتحدد أيها يمكن أن يأتيه وأيها يستبعده، وبعض هذه الدوافع محدود كالعطش فإنه يؤدي إلى سلوك الإرواء بالشرب، وبعضها واسع يقتضي تنوعاً في السلوك الذي يتوزع بحسب الأهداف، فمثلاً الحاجة إلى أن نكون صحبة مع الناس، فتلك يمكن إشباعها بطرق عديدة باختلاف الأشخاص. ومهما كانت طبيعة الدوافع، وسواء عملت منفردة أو مجتمعة، فإنها تحدد نتيجة النشاط المعين، وليس الثواب أو المكافأة والعقاب، بصرف

قانون انتشار الأثر Law of SpreadEffect، ويقصد به أن الآثار السارة أو المؤاتية التي تعقب السلوك المؤاتي، لا تقوي فقط الارتباط بين المؤثرات والاستجابات المباشرة في الموقف، ولكنها تقوي أيضاً الارتباط بين أية مؤثرات أخرى واستجاباتها

أن التعلم عملية ميكانيكية بسيطة لا علاقة لها بقدرة الذكاء، وأن السلوك المتعلم أبسط مما يصنع منه البعض.

النظر عن آثارهما المعززة، إلا أن من دوافع السلوك. وهناك حدود لعمل الثواب والعقاب، وخارج نطاق هذه الحدود فلا عمل لهما، فمثلاً قد يقتضي الخوف من العقاب أن نهرب من الموقف، والعقاب هنا دافع، إلا أنه لو زاد على الحد فإنه يشيع الاضطراب في السلوك، وكذلك لو نقص عن الحد فإنه يتوقف عن أن يكون دافعاً .

ولقد انصب اهتمام ثورندايك كله بالسلوك على المستوى البسيط من المثير الاستجابة. والسلوك خاصة الشخصية، وأدت دراسات ثورندايك في التعلم والذكاء إلى دراسة الفروق الشخصية، إلا أنه لم يتوجه مباشرة إلى أن يبحث في الشخصية وأن تكون له نظرية فيها، وإنما كان بحثه فيها بحثاً عرضياً أثناء محاولاته قياس الذكاء والتحصيل، وكثيراً ما يقترب من أن يقدر الشخصية، إلا أن محاولاته تلك كانت ثانوية إلى جانب إبداعه في مجال التعلم. وليس من شك أن نظريته في التعلم هي أول نظرية متناسقة فيه، وبها يدخل تاريخ علم النفس، إلا أن قوانينه في التعلم لها مغزى أكبر من أن تُفرَد لها بضع صفحات ضمن كتب تاريخ علم النفس، لأنها تظل مسائل مختلفاً بشأنها وتدور حولها البحوث .

من مؤلفات ثورندايك: مقدمة لنظرية في القياس العقلي والاجتماعي An – Introduction to the Theory of Mental and Social Measurements (1913)؛ – مبادئ التدريس على أساس من علم النفس The Principles of Teaching Based on Psychology؛ – علم النفس التربوي Educational Psychology.

المجلد الأول: الطبيعة الأصلية للإنسان The Original Nature of Man.

المجلد الثاني: سيكولوجية التعلم The Psychology of Learning.

وإذا كان الحيوان من الممكن أن يتعلم بالارتباط، وبالصدفة، وبالمحاولة والخطأ، وبرغم أن الذكاء عند الحيوان يختلف عن الذكاء عند الإنسان، ومع ذلك فالحيوان يحل المشاكل، فإذن لا تحتاج عملية حل المشاكل إلى العقل ولكنها عملية ميكانيكية

فالذكاء هو العامل الذي ييسر الربط بين المثير والاستجابة وليس أكثر من ذلك، وكلما كانت سرعة المتعلم على استحداث الربط بين المثير والاستجابة كلما كان أذكى، والإنسان أذكى من الحيوان لأنه يربط أسرع

قد يقتضي الخوف من العقاب أن نهرب من الموقف، والعقاب هنا دافع، إلا أنه لو زاد على الحد فإنه يشيع الاضطراب في السلوك، وكذلك لو نقص عن الحد فإنه يتوقف عن أن يكون دافعاً

أن نظريته في التعلم هي أول نظرية متناسقة فيه، وبها يدخل تاريخ علم النفس، إلا أن قوانينه في التعلم لها مغزى أكبر من أن تُفرَد لها بضع صفحات ضمن كتب تاريخ علم النفس

المجلد الثالث: العمل العقلي والتعب والفروق الفردية وأسبابها Mental Work and Fatigue and Individual Differences and their Causes؛ – التعلم عند الإنسان Human Learning ؛ – أساسيات التعلم Fundamentals of Learning (1932)؛ – سيكولوجية الحاجات والميول والاتجاهات The Psychology of Wants, interests and Attitudes (1935)؛ – علم النفس وعلم التربية Psychology and the Science of Education (1926).

شارك في المراجعة:

- د. رنيم علي
- نجود سلطان

Louis Leon Thurstone لويس ليون ثيرستون

لويس ليون ثيرستون (1887- 1955) Louis Leon Thurstone أميركي، من أصول سويديه وقدراته الرياضية، جعلته يتجه لدراسة الهندسة المدنية، ثم تحول منها إلى الهندسة الميكانيكية، حصل على درجة الماجستير في هندسة ميكانيك من جامعة كورنيل عام 1912 .

وانضم للعمل بمعمل توماس إديسون الذي لفت انتباهه إليه باختراع جهاز عرض سينمائي، ثم التحق معيداً بكلية الهندسة جامعة مينسوتا يدرّس بها الهندسة الوصفية، واستهواه علم النفس فانتسب لجامعة شيكاغو بقسم علم النفس، وقبل أن يحصل على الدكتوراه عمل مساعداً بقسم علم النفس التطبيقي بمعهد كارنيجي للتكنولوجيا، وبعد حصوله على الدكتوراه التحق للعمل بمعهد البحوث الحكومية وساعد في وضع الإرشادات والتعليمات المناسبة للجهات الحكومية عند الإعداد للاختبارات الموضوعية، وشاركته زوجته ثيلما جوين thelma juins ، ووضعا معاً اختباراً نفسياً لاختبار وتصنيف طلبة المعاهد، وكانا مسؤولين عن وضع أربعة وعشرين امتحاناً نفسياً تربوياً صدرت تباعاً .

علّم ثيرستون بجامعة شيكاغو وتخصص في الإحصاءات الوصفية ونظرية الاختبار العقلي، وأسس بها مخبر القياس النفسي، ثم مخبر القياس النفسي بجامعة كارولينا الشمالية. وتخرج من بين يديه عدد لا يستهان به من المختصين الذين عهد إليهم أن يجعلوا من علم النفس دراسة موضوعية كمية .

لويس ليون ثيرستون Louis Leon Thurstone (1887-1955) أميركي، من أصول سويديه وقدراته الرياضية، جعلته يتجه لدراسة الهندسة المدنية، ثم تحول منها إلى الهندسة الميكانيكية، حصل على درجة الماجستير في هندسة ميكانيك من جامعة كورنيل عام 1912

له إسهامه الكبير في مجال القياس النفسي وعلم النفس، ومن كتبه ومقالاته في ذلك "طبيعة الذكاء"(1924(

و "استخدام القياس في الاختبارات النفسية والتربوية" (1925)، و "مفهوم العمر العقلي" (1926)؛ و "وحدة القياس في المقاييس التربوية" (1927)، و "الصفر المطلق في قياس الذكاء" (1928)؛ "قياس الاتجاهات" (1929)، و "استبيان العصاب" (1930)، و "ثبات ومصداقية الاختبارات" (1931)، و "التحليل العاملي المتعدد" (1931)، و "دراسة عاملية متعددة للميول المهنية: (1931)، و "القدرات العقلية الأولية" (1938)، و "أبعاد المزاج" (1951)، و "قياس القيم ."

اشتهر ثيرستون خصوصاً بأبحاثه حول القدرات، ونظريته حول تعدد عوامل الذكاء التي تتعارض مع نظرية العاملين لسبيرمان Spearman. ومن القدرات الأولية التي قال بها: الذاكرةM ، والقدرة العدديةN ، والقدرة الإدراكية، والتدليلR ، والتصور المكاني، والفهم اللفظيV ، والسيولة اللفظية W.

شارك في المراجعة:

- د. رنيم علي
- نجود سلطان

وبعد حصوله على الدكتوراه التحق للعمل بمعهد البحوث الحكومية وساعد في وضع الإرشادات والتعليمات المناسبة للجهات الحكومية عند الإعداد للاختبارات الموضوعية

علّم ثيرستون بجامعة شيكاغو وتخصص في الإحصاءات الوصفية ونظرية الاختبار العقلي، وأسس بها مختبر القياس النفسي، ثم مختبر القياس النفسي بجامعة كارولينا الشمالية

"استخدام القياس في الاختبارات النفسية والتربوية" (1925)، و "مفهوم العمر العقلي" (1926)؛ و "وحدة القياس في المقاييس التربوية" (1927)، و "الصفر المطلق في قياس الذكاء" (1928)؛

حـــرف "الـــدال"

تشارلـــز داروين

رينيـــه ديكـــارت

جـان اوفيـد ديكرولـي

هنـــري ديلاكـــروا

جـــون ديـــوي

تشارلز داروين Charles Darwin

تشارلز روبيرت داروين (1809– 1882) Charles Robert Darwin ولد بتاريخ 12 فبراير 1809م في منطقة شروزبري Shrewsbury الإنجليزيّة، هو عالم إنجليزي في مجال الطبيعة الجيولوجية، وعالم حيوان، كان الابن الخامس من أصل ستة أبناء للطبيب روبرت داروين Robert Darwin، وجده الدكتور إيراسموس داروين Erasmus Darwin ، عالم نباتات مشهور ومؤلفًا وفيزيائيًا، وفيزيولوجيًا، وفيلسوفًا طبيعيّاً، ومخترعًا وشاعراً ..

توفيت والدته وهو بعمره 8 سنوات ، كان طفلًا محباً لاستكشاف الطبيعة. وله تفكيره الخاص الذي يتميز به عن غيره منذ صغره، ويبرز هذا التفكير في كل مرة يذهب فيها إلى الكنيسة الإنجليكانيّة .

بدأ في صيف عام 1825 العمل كمتدرّب يساعد والده على علاج الفقراء في منطقة شروبشاير Shropshire ؛ وكان ذلك قبل التحاقه بكلية الطب في ادنبره .Edinburgh كان واحداً من الطلبة المهملين في الدراسة؛ لأنّه لم يجد في الدراسة إلّا الملل، وأبدى والده انزعاجه من هذا الإهمال اذ كان والده يأمل أن يتبع خطاه ويصبح طبيبًا، ولكن منظر الدماء كان يجعل داروين في حالة سيئة، فاقترح والده أن يصبح كاهنًا بدلًا من ذلك، ولكنه كان أكثر ميلًا لدراسة التاريخ الطبيعي..

تشارلز روبيرت داروين Charles Robert Darwin ((1809- 1882 ولد بتاريخ 12 فبراير 1809م في منطقة شروزبري Shrewsbury الإنجليزيّة، هو عالم إنجليزي في مجال الطبيعة الجيولوجية، وعالم حيوان

حينما كان داروين في كلية المسيح، أصبح أستاذ علم النباتات جون ستيفنز هينسلو John Stevens Henslow معلمه، وبعد تخرجه بدرجة البكالوريوس في الفنون عام 1831، أوصى هينسلو به للحصول على مكان المؤرخ الطبيعي على متن سفينة البيجل HMS Beagle ، بقيادة الكابتن روبرت فيتزروي Robert FitzRoy ، التي ستقوم برحلة استقصائية على مدار خمس سنوات في جميع أنحاء العالم، الرحلة سوف تكون هذه الرحلة فرصة العمر لذلك الشاب المهتم بالطبيعة .

في 27 ديسمبر 1831، أطلقت سفينة بيجل رحلتها حول العالم وداروين على متنها يجمع أصناف متنوعة من العينات الطبيعية، فيها الطيور والنباتات والحفريات. من خلال الممارسة العملية للبحث والتفحص حظي بفرصة فريدة لمراقبة مبادئ علم النبات والجيولوجيا وعلم الحيوان عن كثب.

وهكذا شرع داروين في رحلة استقصائية استغرقت خمس سنوات في جميع أنحاء العالم على متن هذه السفينة التابعة للملكية البريطانية. وعكف على ملاحظة ودراسة العديد من أنواع الحيوانات والطيور، وجمع آلاف العينات التي أرسلها إلى بريطانيا لدراستها بشكل مفصل. قادته إلى صياغة نظريته نظرية التطور وآرائه تجاه عملية الانتقاء الطبيعي. في عام 1859، نشر كتابه أصل الأنواع.

و داروين صاحب نظرية التطور Evolution Theory التي طرحها في كتبه "عن أصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي On the Origin of Natural Selection" (1859)، و "تنوع الحيوانات والنباتات تحت تأثير الاستئناس The Variation of Animals and Plants under Domestication)" (1868)، و "تسلسل الإنسان، والانتخاب في علاقته بالجنس The Descent of man and Selection in Relation to Sex" (1871)، و "التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان The Expression of Emotions in Man and Animals" (1872).

توفيت والدته وهو بعمره 8 سنوات ، كان طفلًا محباً لاستكشافه الطبيعة. وله تفكيره الخاص الذي يتميز به عن غيره منذ صغره، ويبرز هذا التفكير في كل مرة يذهب فيها إلى الكنيسة الإنجليكانيّة.

27 ديسمبر 1831، أطلقت سفينة بيجل رحلتها حول العالم وداروين على متنها يجمع أصناف متنوعة من العينات الطبيعية، فيها الطيور والنباتات والحفريات.

شرع داروين في رحلة استكشافية استغرقت خمس سنوات في جميع أنحاء العالم على متن هذه السفينة التابعة للملكية البريطانية. وعكف على ملاحظة ودراسة العديد من أنواع الحيوانات والطيور، وجمع آلاف العينات التي أرسلها إلى بريطانيا لدراستها بشكل مفصل

داروين صاحب نظرية التطور Evolution Theory التي طرحها في كتبه "عن أصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي On the Origin of Natural Selection" (1859)، و "تنوع الحيوانات والنباتات تحت تأثير الاستئناس

التاريخ العلمي يثبت أن المواد العلمية الخام التي بنى داروين عليها نظريته كانت معروفة قبل ذلك بعقود. اذ كان علماء الجيولوجيا والآثار قدموا أدلة قوية على أن الحياة ظهرت على كوكب الأرض منذ زمن بعيد، وأنها تغيرت مع مرور الزمن، وأن أنواعا كثيرة من الكائنات الحية تعرضت للانقراض. كما أن علماء الطبيعة والتاريخ الطبيعي والأجنة اكتشفوا، ربما من دون أن يدركوا ذلك، الكثير من الأشياء التي استخدمها داروين كأدلة لإثبات صحة نظريته.

فالنظرية "اللاماركية": كان العالم الفرنسي جون بابتيست بيير أنطوان دو مونيه شوفالييه دو لامارك Jean-Baptiste Pierre Antoine de Monet de Lamarck (1744-1829)أول عالم تاريخ طبيعي يكتب بشكل مطول عن أن "توارث خصائص مكتسبة" على المدى الطويل قد يؤدي إلى تغير في الأنواع. وترتكز نظريته التطورية على مبدأ أن التغير الجسدي الذي يحدث في الكائنات – كتطور أحد الأعضاء أو الأطراف مثلا من خلال الاستخدام المتزايد لها، من الممكن أن ينتقل إلى الذرية.

ونظرية "توحد الأصول والمبادئ uniformitarianism: "طور كل من عالم الجيولوجيا الاسكتلندي جيمس هوتون James Hutton (1726-1797)، ومن بعده رجل القانون وعالم الجيولوجيا البريطاني تشارلز لايل Charles Lyel (1797-1875)، نظرية توحد الأصول والمبادئ التي تقوم على أن معالم الأرض، كالجبال والمحيطات، تكونت على مدى فترة زمنية طويلة من خلال عملية تدريجية، وأن الظواهر الطبيعية، كالبراكين والزلازل، لا تزال تغير سطح الكوكب في الوقت الحالي بنفس الطريقة التي غيرته بها على مر الأزمان.

استفاد داروين من هذه النظرية لتدعيم فكرته حول كيفية نشوء الأنواع. إذا كان هناك ما يكفي من الوقت لتتكون الجبال وتترسخ أو تتفتت وتتلاشي،

فإنه بالتأكيد كان هناك الوقت الكافي لظهور الملايين من أنواع الكائنات الحية، ولتطورها أو انقراضها.

كان لامارك يعتقد أن الحياة كافحت مع مرور الوقت لتتحول من كائنات وحيدة الخلية إلى كائنات أكثر تعقيدا. والكثير من علماء الأحياء الألمان في ذلك الوقت كانوا يعتقدون أن الحياة تطورت وفق قواعد محددة سلفا، بنفس الطريقة التي يتطور بها الجنين في رحم الأم. لكن في منتصف القرن التاسع عشر، توصل عالما الطبيعة والأحياء تشارلز دارون (1809–1882) وألفريد راسيل والاس (1823–1913) Alfred Russel Wallace بشكل مستقل إلى طريقة طبيعية لكيفية تغير الحياة يمكن لنا أن نلاحظها – وهي العملية التي أطلق عليها داروين "الانتقاء الطبيعي". لاحظ كلاهما أنه إذا كان لدى حيوان ما سمات أو خصائص معينة تساعده على التأقلم على ظروف بيئته، أو على التكاثر بشكل أنجح، هذه السمات تصبح أكثر شيوعا في الأجيال التالية. ويزداد احتمال مواصلة الحياة والتكاثر وتوريث الجينات لدى الأفراد الذين لديهم الخصائص التي تمكنهم من التكيف.

بيد أن فكرة الانتقاء الطبيعي وجدت صعوبة أكبر في الانتشار. في أواخر القرن التاسع عشر، كان الكثير من العلماء الذين يعتبرون أنفسهم "داروينيين" يفضلون تفسير لامارك للطريقة التي تغيرت بها الحياة على مر الأزمان. ومع اكتشاف الجينات والطفرات الجينية في القرن العشرين، أصبح تفسير التطور من خلال الانتقاء الطبيعي شيئا لا يمكن تجاهله.

بكل الاحوال، لم يتقبل المؤمنون بفكرة الخلق نظريات داروين التي اعتبروها طريقة منافسة لشرح أصل الأنواع من خلال الانحدار من أسلاف مشتركة. وكان داروين يدرك أن هؤلاء سيجدون صعوبة في تقبل نظرياته ..

وداروين نفسه لم يكن على ما يبدو معارضا لفكرة وجود إله خالق، فقد كتب ضمن خاتمة كتابه "أصل الأنواع": "..على الأرجح كل الكائنات الحية

أن المواد العلمية الخام التي بنى داروين عليها نظريته كانت معروفة قبل ذلك بعقود. اذ كان علماء الجيولوجيا والآثار قدموا أدلة قوية على أن الحياة ظهرت على كوكب الأرض منذ زمن بعيد، وأنها تغيرت مع مرور الزمن، وأن أنواعا كثيرة من الكائنات الحية تعرضت للانقراض.

كان لامارك يعتقد أن الحياة كافحت مع مرور الوقت لتتحول من كائنات وحيدة الخلية إلى كائنات أكثر تعقيدا

التي عاشت على هذه الأرض انحدرت من شكل بدائي واحد بعد أن نُفخت فيه الحياة من قبل الخالق". وقد فسر البعض ذلك بأن داروين كان يرى أن القدرة الإلهية هي التي خلقت الحياة، ثم أصبحت هذه الحياة عرضة للطفرات والتنوعات والانتقاء الطبيعي. وربما كان ذلك خطوة تصالحية منه هدفها التوفيق بين التفسيرات الدينية والعلمية للحياة.

وربما يفسر ذلك تفادي داروين الحديث عن تطور الجنس البشري، وتشير بعض المراجع إلى أنه كان يعتزم في البداية تضمين كتابه فصلا يتناول تطور البشر، ولكنه عدل عن ذلك لاحقا (وإن كان خصص لذلك كتابا مستقلا فيما بعد). ربما اعتبر أن كتابه كان فيه ما يكفي ويزيد لإثارة الجدل. وصدق حدسه، إذ انقسمت الآراء حول الكتاب، ما بين من اعتبروه يؤسس لعلم الأحياء الحديث، ومن وصفوه بأنه يشكل تهديدا خطيرا على جوهر البشرية.

لم يزعم داروين أن "الانتقاء الطبيعي" لديه القدرة على خلق تنويعات جديدة من الكائنات، ولكنه يستطيع فقط التأثير على التنويعات الموجودة بالفعل في الطبيعة.وهنا يجب ان يتساءل كثيرون خاصة بعد مرور مزيد وقرن ونصف من الوقت، فيما إذا كان كتاب داروين الشهير، بما احتواه من نظريات، لا يزال يحتل مكانة علمية مرموقة رغم ما نشهده من التطورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة.. حقيقة الامر بدأ في السنوات الاخيرة في التراجع..

توفي داروين في عام 1882 م، بسبب ذبحة صدرية ناتجة عن انسداد في شرايين القلب، كانت كلماته الأخيرة نحو عائلته هي "أنا لست خائفاً من الموت، أتذكر معنى الزوجة الصالحة التي حظيت بها، أخبروا أطفالي أن يتذكروا جيداً كيف كنت" وشُيّع في كنيسة وستمنستر، ودفن جوار جون هيرشيل John Herschel، وإسحاق نيوتن.Isaac Newton

الكثير من علماء الأحياء الألمان في ذلك الوقت كانوا يعتقدون أن الحياة تطورت وفق قواعد محددة سلفا، بنفس الطريقة التي يتطور بها الجنين في رحم الأم

أن فكرة الانتقاء الطبيعي وجدت صعوبة أكبر في الانتشار. في أواخر القرن التاسع عشر، كان الكثير من العلماء الذين يعتبرون أنفسهم "داروينيين" يفضلون تفسير لامارك للطريقة التي تغيرت بها الحياة على مر الأزمان

صحيح ان داروين عالم حيوان ويعنينا من نظريته تأثيرها على علم النفس، وكان هذا التأثير هائلاً، لأنها دلت على تواصل الحياة النفسية في الحيوان والإنسان، وقابلية الأنماط للتغير والتنوع دائماً، وأن هذا التغير كمي وكيفي، وأن يخدم التكيف مع البيئة، وأن الإنسان بوسعه توجيه هذا التغير والتنوع إلى وجهات فيها مصلحته، وأن من شأن التكيف أنه يحفظ على الأنواع بقاءها، وأن الخَلَف يرثه عن السلف، وأن البقاء لا يُكتب إلا للأصلح، وأن السلوك تتحكم فيه الغريزة، وأن الجمال في ذكور في بعض الحيوانات والطيور يخدم عملية المفاضلة الجنسية والانتخاب الطبيعي، وأن الملكات الفكرية والاجتماعية للإنسان تخدم التكيف والتأقلم والمواءمة، وتنوعها يخدم البقاء للأصلح .

ونتيجة نظرية داروين أَولى علماء النفس عناية أكبر بعدة مسائل منها هذا التكيف السابق، وكذلك الفروق الفردية بين أفراد النوع الإنساني والتي بدونها يكون كل الناس نسخة مكررة من بعضهم البعض، واهتموا بالدراسات في علم نفس الحيوان، وكثرت الكتابات والتجارب في علم النفس المقارن .

ويؤسس كتاب داروين "التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان" لعلم نفس يقوم على مبادئ فزيولوجية خالصة، كما أنه في كتابه "تسلسل الإنسان" يذهب إلى نتائج في السلوك النفسي والجنسي تؤكد أن الغرائز والتصورات الأخلاقية والدينية والملكات العقلية في الإنسان، تدفع إليها التغيرات البيولوجية المفيدة التي تنتقل عبر الأجيال بالوراثة، وأن استعمال الأعضاء أو عدم استعمالها تحت تأثير البيئة تتأكد به استمرار الأعضاء أو ضمورها، أو تنشأ بسببه أعضاء جديدة. وهذه الملحوظة الأخيرة كان لها شأن كبير في تطوير التجارب على التعلم. وأوضح داروين بجلاء أن تنازع البقاء وإن كان دعوة مادية، إلا أنه لا يتناقض مع القول بالأخلاقية، ذلك لأن الصفات التي توجه الانتخاب الطبيعي ليست هي الصفات التي يفيد منها الفرد وحده،

لم يتقبل المؤمنون بفكرة الخلق نظريات داروين التي اعتبروها طريقة منافسة لشرح أصل الأنواع من خلال الانحدار من أسلاف مشتركة. وكان داروين يدرك أن هؤلاء سيجدون صعوبة في تقبل نظرياته..

داروين نفسه لم يكن على ما يبدو معارضا لفكرة وجود إله خالق، فقد كتب ضمن خاتمة كتابه "أصل الأنواع": "..على الأرجح كل الكائنات الحية التي عاشت على هذه الأرض انحدرت من شكل بدائي واحد بعد أن نُفخت فيه الحياة من قبل الخالق

ولكنها الصفات التي تعم فائدتها النوع كله، طالما أن الاجتماع هو العامل الفعال في النوع. وضرب المثل لذلك بحب الوالدين للأبناء، وما نشاهده من تعريض بعض الحيوانات نفسها للخطر والموت لإنقاذ غيرها، ومن ثم نلمس في الإنسان صفات يمكن ان لا تفيد الفرد، ولكنها تفيد النوع وتتوارثها الأجيال .

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

تشير بعض المراجع إلى أنه كان يعتزم في البداية تضمين كتابه فصلا يتناول تطور البشر، ولكنه عدل عن ذلك لاحقا (وإن كان خصص لذلك كتابا مستقلا فيما بعد).

لم يزعم داروين أن "الانتقاء الطبيعي" لديه القدرة على خلق تنويعات جديدة من الكائنات، ولكنه يستطيع فقط التأثير على التنويعات الموجودة بالفعل في الطبيعة

René Descartes رينيه ديكارت

رينيه ديكارت René Descartes (1596- 1650) فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، التي ما زالت تدرس حتى اليوم، خصوصا كتاب (تأملات في الفلسفة الأولى) الذي ما زال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة في العالم الغربي. كما أن لديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فقد اخترع نظاما رياضيا سمي باسمه وهو (نظام الإحداثيات الديكارتية)، الذي شكل النواة الأولى لـ(الهندسة التحليلية)، فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية. وديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن السابع عشر، كما كان ضليعا في علم الرياضيات، فضلا عن الفلسفة، وأسهم إسهاما كبيرا في هذه العلوم، وديكارت هو صاحب المقولة الشهيرة: "أنا أفكر، إذن أنا موجود."

رينيه ديكارت René Descartes ((1596- 1650 فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، التي ما زالت تدرس حتى اليوم، خصوصا كتاب (تأملات في الفلسفة الأولى)

ولد ديكارت عام 1596 م في فرنسا، لأسرته تعود أصولها إلى هولند، والده مستشارًا في برلمان إقليم بريتانيا الفرنسي. وجده لأبيه طبيبًا، وجده لأمه حاكمًا لإقليم بواتيه .

عام 1604 التحق ديكارت بمدرسة لافلشي La Fliche ، وهي تنتمي إلى طائفة دينية تسمى باليسوعية، وقد تلقى ديكارت فيها تعليمًا فلسفيًا راقيًا يعد من أرقى الأنواع في أوروبا وبدأ فيها ديكارت في تعلم الأدب، والمنطق،

والأخلاق ثم الفلسفة وأخيرًا الرياضيات والفيزياء. ونال إجازة الحقوق من جامعة بواتيه حيث تخرج ديكارت من الكلية عام 1612 حاملًا شهادة الليسانس في القانون الديني والمدني عام 1616

وعلى عادة النبلاء في ذلك العصر، نصحه أبوه بالالتحاق بالجيش الهولندي، إذ كان هذا الجيش أفضل جيوش أوروبا نظامًا وخبرة، وكان يشكل مدرسة حربية لكل من أراد أن يتعلم فن الحرب. وبالفعل رحل ديكارت إلى هولندا عام 1618 وتعرف هناك على العالم الهولندي اسحق بيكمان Isaac Beeckman، الذي شجعه على دراسة الفيزياء والرياضيات وعلى الربط بينهما، وكانا يمارسان معًا طريقة جديدة في البحث تطبق الرياضيات على الميتافيزيقا، وترد الميتافيزيقا إلى الرياضيات، وكان لهذه الطريقة أبلغ الأثر في تطور ديكارت الفكري وفي تشكيل فلسفته، إذ أن منهجه ومذهبه الفلسفي لن يختلف كثيرًا عن طريقة البحث هذه.

تطوع للخدمة في الجيش الهولندي عام 1618م، وخاض معه عدة معارك، وفي عام 1622م عاد ديكارت إلى فرنسا وصفى جميع أملاكه ليستثمر الأموال في تجارة السندات المالية وقد أمنت له دخلا مريحا لبقية حياته. وفي الفترة بين 1628 م و1649 م عاش ديكارت حياة علمية هادئة في هولندا، وألف فيها معظم مؤلفاته.

غادر ديكارت هولندا عام 1619 وذهب إلى ألمانيا، وهناك اكتشف الهندسة التحليلية التي اشتهر بها ووضع يده على قواعد منهجه الفلسفي. وفي عام 1620 بدأ في السفر متنقلًا بين العديد من المدن الأوروبية لمدة تسع سنين، وفيها باع أملاكه التي ورثها عن أمه، وعرض عليه أبوه أن يشتري له وظيفة حاكم عسكري فرفض ديكارت وآثر أن يعيش حياة العزلة. وفي عام 1628 غادر فرنسا إلى هولندا حيث قضى فيها فترة كبيرة من حياته. والذي جعله يفضل هولندا أنها كانت آنذاك من أقوى وأغنى الدول

أن لديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فقد اخترع نظاما رياضيا سمي باسمه وهو (نظام الإحداثيات الديكارتية)، الذي شكل النواة الأولى لـ(الهندسة التحليلية)

ديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن السابع عشر، كما كان ضليعا في علم الرياضيات، فضلا عن الفلسفة، وأسهم إسهاما كبيرا في هذه العلوم

قد تلقى ديكارت فيها تعليمًا فلسفيًا راقيًا يعد من أرقى الأنواع في أوروبا وبدأ فيها ديكارت في تعلم الأدب، والمنطق، والأخلاق ثم الفلسفة وأخيرًا الرياضيات والفيزياء

الأوروبية وأكثرها ازدهارًا في العلوم والفنون. وفي عام 1629 بدأ ديكارت في كتابة رسالة يبحث في الطبيعة على أساس النتائج التي توصل إليها كوبرنيكوس Nicolaus Copernicus وكبلر Johannes Kepler وغاليليو Galileo Galilei في النظام الشمسى ودوران الأرض حول الشمس.

لكن حدث أن أدانت محكمة التفتيش والكنيسة الكاثوليكية في روما العالم الإيطالي غاليليو عام 1633، خوفًا من أن تؤدي آراء غاليليو الجديدة إلى سقوط الاعتقاد القديم بأن الأرض ثابتة في الكون والنجوم والكواكب تدور حولها وعندئذ خشى ديكارت أن يكون مصيره نفس مصير غاليليو، فلم يكمل الرسالة وكاد أن يحرق أوراقها وعزم على ألا يكتب أي شيء على الإطلاق، مما أدى إلى توقف ديكارت عن نشر بعض أفكاره، وفي عام 1643 م أدانت جامعة أوتريخت Utrecht University الهولندية الفلسفة الديكارتية .

في هولندا تتلمذ في علوم الرياضيات على يد يعقوب يوليوس Jacob Golius (1596 – 1667) في جامعة لايدن (ويعقوب مستشرق هولندي. ولد في لاهاي، وأخذ العربية عن إربينيوس Thomas Van Erpenius (1584–1624). وقام برحلتين إلى المغرب الأقصى وسورية، اشترى فيهما كثيرا من المخطوطات. وخلف إربينيوس في تدريس العربية بجامعة لايدن (سنة 1624) واستمر إلى أن توفي. وله " معجم عربي لاتيني" ومما نشر بالعربية " عجائب المقدور " لابن عرب شاه ..(

لكن سرعان ما أدرك ديكارت أنه لا يمكن أن يتوقف عن الكتابة نهائيًا وهو الفيلسوف الذي بدأ صيته ينتشر وعندما أحس أن الناس يتشوقون لمعرفة فلسفته عكف على الكتابة مرة أخرى، وأخرج ثلاث رسائل تدور كلها حول الموضوعات الرياضية والطبيعية وهي عن انكسار الأشعة والأنواء الجوية والهندسة، وقدم لها بمقال صغير وهو "مقال عن المنهج" عام 1636 وبلغ

في عام 1628 غادر فرنسا إلى هولندا حيث قضى فيها فترة كبيرة من حياته. والذي جعله يفضل هولندا أنها كانت آنذاك من أقوى وأغنى الدول الأوروبية وأكثرها ازدهارًا في العلوم والفنون

سرعان ما أدرك ديكارت أنه لا يمكن أن يتوقف عن الكتابة نهائيًا وهو الفيلسوف الذي بدأ صيته ينتشر وعندما أحس أن الناس يتشوقون لمعرفة فلسفته عكف على الكتابة مرة أخرى، وأخرج ثلاث رسائل تدور كلها حول الموضوعات الرياضية والطبيعية

حد خوف ديكارت أن طبع الكتاب دون أن يكتب اسمه على الغلاف. وقرر ديكارت أن يضع مذهبًا للفلسفة ويطبقه على الميتافيزيقا فأخرج عام 1641 كتاب» التأملات في الفلسفة الأولى »الذي أهداه إلى الأميرة إليزابيت البلاتينية التي راسلها كثيرًا وأخذ يشرح لها فلسفته ويناقشها في أمور الأخلاق والسياسة. وعندما ذاعت شهرته وضع له ملك فرنسا راتبًا سنويًا عام 1647 .

وفي عام 1648 تعرف على ملكة السويد كريستينا Drottning Kristinaالتي ناقشته طويلًا في فلسفته عبر سلسلة من الرسائل، وأصرت على دعوته للسويد ليكون عونًا لها في إدارة الحكم وشئون البلاد كمستشار، وعندما قبل الدعوة سافر إلى ستوكهولم عاصمة السويد في أواخر عام 1649. وكانت الملكة تتردد عليه طويلًا لمناقشته في فلسفته، لكن الطقس البارد للسويد لم يكن مناسبًا لصحته، فأصيب بالتهاب رئوي، فرفض نصائح الأطباء وآثر أن يعالج نفسه بنفسه، وعندما اشتد عليه المرض توفى في 11 فبراير عام 1650.

نلاحظ من خلال مسار حياته كان عالم رياضيات في المقام الأوّل، ثمّ عالمًا طبيعيًا أو "فيلسوفًا طبيعيًا" في المقام الثاني، ثمّ عالمًا ميتافيزيقيًا في المقام الثالث. ويعتبر من الفلاسفة الذين يجمعون بين الفلسفة وعلم النفس، وأهميته لنا كعالم نفس هو منهجه العلمي المتمثل في كتابيه "قواعد لهداية العقل" و "مقال في المنهج"، وآراؤه في النفس التي طرحها في كتابيه "بحث في الإنسان" و "انفعالات النفس ".

والديكارتية كمذهب لها تأثير واضح على الفلسفة وعلم النفس، ومنهج ديكارت العلمي الذي هو منهج تحليلي تركيبي يستعيره من الهندسة الوصفية، ويقوم على رفض ما يشك العقل في صحته، وما لا يكون واضحً تمام الوضوح للنظر العقلي، ثم تحليل المسائل إلى أجزائها، والبدء من أبسطها وأسهلها على الفهم إلى الأصعب فالأصعب، ثم التأكد من استقصاء كل

يعتبر من الفلاسفة الذين يجمعون بين الفلسفة وعلم النفس، وأهميته لنا كعالم نفس هو منهجه العلمي المتمثل في كتابيه "قواعد لهداية العقل" و "مقال في المنهج"، وآراؤه في النفس التي طرحها في كتابيه "بحث في الإنسان" و "انفعالات النفس"

منهج ديكارت العلمي الذي هو منهج تحليلي تركيبي يستعيره من الهندسة الوصفية، ويقوم على رفض ما يشك العقل في صحته، وما لا يكون واضحً تمام الوضوح للنظر العقلي، ثم تحليل المسائل إلى أجزائها، والبدء من أبسطها وأسهلها على الفهم إلى الأصعب فالأصعب

شيء حول المسألة قيد البحث بحيث لا يكون هناك ما يُغفل عنه أو يُنسى .

ويضع ديكارت مشكلة المعرفة موضع الصدارة في بحوثه، ويقول إن الناس يولدون متفاوتون في الذكاء، وأن التمييز بين الصواب والخطأ فطري عند الإنسان، ويمكن صقله بالخبرة، غير أن الخبرة يمكن أن تخطئ لاعتمادها على الحواس، والحواس يمكن أن تخدعنا، ولذلك يجب أن نفترض أن كل ما نشاهده زيف وخداع وهو غير حقيقي، والشك يجب ان يكون في كل شيء. وما دام الإنسان يشك فهو يفكر، وما دام على يقين من أنه يفكر فهو على يقين كذلك من أنه موجود، ومن هنا يمكن القول "أنا أفكر إذن فأنا موجود"، وهذه الحقيقة هي مبدأ أول للتفكير، ومعيار لكل حقيقة .

يقول إن الناس يولدون متفاوتون في الذكاء، وأن التمييز بين الصواب والخطأ فطري عند الإنسان، ويمكن صقله بالخبرة، غير أن الخبرة يمكن أن تخطئ لاعتمادها على الحواس، والحواس يمكن أن تخدعنا

ويعرف ديكارت التفكير بأنه كل ما يحدث فينا بحيث ندركه حالاً بأنفسنا، فحينما أقول إني شيء مفكر، أقصد إني شيء يشك ويثبت وينفي، ويعلم القليل، ويجهل الكثير، ويحب ويكره، ويريد ويرفض، ويتخيل ويحس .

وجوهر النفس هو التفكير، والنفس به تتميز عن الجسم، والجسم صفته الامتداد، وليس التفكير من صفاته، وكذلك النفس صفتها التفكير وليس الامتداد من صفاتها .

ويميز ديكارت بين فعل العقل وفعل الإرادة، والعقل مهمته معاينة الأفكار، والإرادة هي التي تقررها، وهي حرة أن تختار منها ما تشاء في حدود الدواعي والأسباب التي توجهها، والإنسان هذه حقيقته: إنه مؤلف من الجسم والنفس معاً، إلا أن النفس لا تحل في الجسم حلول النوتي في السفينة، وإنما هي متحدة بالجسم في كل واحد، بحيث لو جُرح الجسم فالنفس تنبه للجُرح بالتداعي له بالألم. وليس الألم وسائر الانفعالات إلا مترتبات على اتحاد النفس والجسم. ويقال مثل ذلك عن المعرفة الحسية والحركات المنعكسة والأحلام والتخيل والتذكر .

ما دام الإنسان يشك فهو يفكر، وما دام على يقين من أنه يفكر فهو على يقين كذلك من أنه موجود، ومن هنا يمكن القول "أنا أفكر إذن فأنا موجود"، وهذه الحقيقة هي مبدأ أول للتفكير، ومعيار لكل حقيقة

ويصف ديكارت ترابط النفس بالجسم من خلال الغدة الصنوبرية في الدماغ التي تقوم النفس بوظائفها من خلالها، وهذه تنقل المطلوب إلى سائر الجسم، فكلما أرادت النفس شيئاً حفزت الغدة لاستحداث الفعل بالإرادة. ويؤثر الجسم أيضاً على النفس بأن يبلغ الغدة الصنوبرية بما يحسه، فتترجمه إلى ألوان وأصوات وروائح وطعوم ورغبات ولذات وآلام، وتستشعر النفس العطش والجوع .

ويقول ديكارت بمذهب في السلوك يقرب من المذهب القائم على الأفعال المنعكسة أو السلوك الانعكاسي، بتفسيره للحركة بأنها رد فعل لتنبيه الحواس. وأيضاً فإنه بتأكيده على تفاعل النفس والجسم يقرب من المذهب التفاعلي Interactionism، لأن النفس والجسم ليس وجودهما معاً مجرد وجود اثنين، بل هو وجود يتبادل التأثير والتأثر .

ومع ذلك فليست كل الأفكار مصدرها ما يرد من خلال الجسم من أحاسيس عن العالم الخارجي. ويقسم ديكارت الأفكار إلى ثلاثة أنواع، فنوع هو هذا الذي تحدثنا عنه، وهو الذي سببه ما يرد على الحواس من الخارج، ونوع مؤلف من الأفكار الأولى ويتركب منها، وهو أساس التخيلات والتصورات والهلاوس، ونوع غريزي أو فطري غير مستفاد من الأشياء، ولا مركب بالإرادة، وتستنبطه النفس من ذاتها، وهي أفكار بسيطة واضحة. ويقصد ديكارت من وصفها بأنها غريزية وفطرية أنها فينا بقوة في النفس، والنفس منتقشة بها انتقاش الشمع بالأشكال .

الجدير بالذكر أن بعض الباحثين العرب المعاصرين، ومنهم الوزير الفيلسوف محمود حمدي زقزوق (1933–2020) في كتابه «المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت»، والدكتور نجيب محمد البهبيتي (1908–1992) في كتابه «المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين»، تمكنوا من إثبات أن ديكارت أخذ من أفكار أبي حامد الغزالي وخاصة من كتابه" المنقذ

جوهر النفس هو التفكير، والنفس به تتميز عن الجسم، والجسم صفته الامتداد، وليس التفكير من صفاته، وكذلك النفس صفتها التفكير وليس الامتداد من صفاتها

أن النفس لا تحل في الجسم حلول النوتي في السفينة، وإنما هي متحدة بالجسم في كل واحد، بحيث لو جُرح الجسم فالنفس تنبه للجُرح بالتداعي له بالألم

من الضلال .".ولا يقتصر ذلك على تأويل التشابه الواضح مع أفكار الغزالي الذي سبق زمن ديكارت بما يقارب خمسة قرون، هذا عدا أن الباحث التونسي عثمان الكعاك (1903–1976) (عثر على نسخة من كتاب (المنقذ من الضلال (للغزالي، مترجمة إلى اللاتينية، في مكتبة ديكارت الخاصة بمتحفه في باريس، وفي إحدى صفحاتها إشارة بالأحمر تحت عبارة الغزالي الشهيرة «الشك أول مراتب اليقين»، وعليها حاشية بخط يد ديكارت بعبارة «تُنقل إلى منهجنا». رغم أن ديكارت لم يُشر إلى الغزالي في أي من مؤلفاته .

مع العلم ان الكثير من المخطوطات والمؤلفات العربية ومنها مؤلفات الغزالي وصلت الى يدي ديكارت من خلال Jacob Golius و Thomas Van Erpenius ..

أن ديكارت أخذ من أفكار أبي حامد الغزالي وخاصة من كتابه" المنقذ من الضلال". ولا يقتصر ذلك على تأويل التشابه الواضح مع أفكار الغزالي الذي سبق زمن ديكارت بما يقارب خمسة قرون

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

Ovide Decroly Jean جان اوفيد ديكرولي

جان أوفيد ديكرولي (1871- 1932) Jean-Ovide Decroly طبيب ومدرس وعالم نفسي بلجيكي. درس الطب في جامعة غنت، وقضى نصف عام في جامعة برلين حيث درس تأثير السموم ومضادات السموم على التغذية العامة في عام 1898. وعمل لاحقًا مع الأطفال المعاقين (عقليًا) في العيادة العصبية في بروكسل.

صاحب الطريقة المعروفة باسمه في التربية- طريقة ديكرولي، وكان شعار مدرسته للحياة بالحياة، ومن مؤلفاته "مدخل إلى النشاط العقلي والحركي بالألعاب التربوية Initiation à l'Activité Intellectuelle et Motrice par les Jeux Educatifs" (1914)، بالاشتراك مع آخرين، و "نحو المدرسة المتجددة Vers L'Ecole Renovée" (1921- بالاشتراك مع آخرين)، و "الوظيفة الإجمالية وتطبيقها La Fonction de Globalisation et son Application" (1929).

وديكرولي بلجيكي، تأثر بشدة بسيكولوجية روسو Jean-Jacques Rousseauالطبيعية، وبسبب توجهاته التربوية اخاصة أسس ببروكسل معهداً للتربية الخاصة للأطفال المتخلفين وغير الأسوياء (1901)، ثم شمل نشاطه التربوي الأطفال الأسوياء، فأنشأ مدرسته المشهورة ببرامجها النشطة (1907)، وجعلها في وسط طبيعي بحيث يستطيع الطفل أن يشاهد يومياً مظاهر الطبيعة المتجددة من حوله، وأن يلاحظ الطيور والحيوانات والحشرات تتناسل وتتغذى وتتفاعل مع بعضها، ومع ظروف المناخ والبيئة .

جان أوفيد ديكرولي Jean-Ovide Decroly (1871- 1932) طبيب ومدرس وعالم نفسي بلجيكي

صاحب الطريقة المعروفة باسمه في التربية- طريقة ديكرولي، وكان شعار مدرسته للحياة بالحياة، ومن مؤلفاته "مدخل إلى النشاط العقلي والحركي بالألعاب التربوية " (1914)

وتقوم تربية ديكرولي على الملاحظة والتجربة والنشاط الذاتي، والعناية بحاجات الطفل الأساسية كالتغذية، والإشراف الصحي المستمر، والمحافظة عليه من التقلبات الجوية، وحمايته من الأخطار الخارجية، وتسليته، وأن يأتي سلوكه تلقائياً، ومراعاة أن تكون المبادأة منه باستمرار، وأن لا يكلفه المربي إلا بما يناسبه ويضمن أنه سيحبه وسيواصل العمل فيه، كأن يستنبط بنفسه الملحوظات عن الموضوع المطلوب منه، وأن يتعلم أن يجمع مختلف المعلومات حوله، أو ما يلزمه فيه مما سيشكل مستقبلاً منطلقاً لمعارفه، وأن يقيس بنفسه المسافات، ويقدر الأحجام والأوزان، ويجد الألفاظ التي تعبر عن ذلك كله، ويدرك المستجد منها ويحفظه، ويتولى بنفسه صناعة ما يمكن أن يقدر عليه مما يتطلبه مشروعه، أو ينصرف عمله فيه إلى رسمه وتخيل شكله وألوانه .

وقد يكون ما يشترك فيه تمثيلية، فيتعلم أن يتصور دوره ويحدد الحركة لنفسه، ويتخيل نفسه مفكراً أو غاضباً أو مسروراً، وربما كانت اللعبة التمثيلية التي يشترك فيها مكتوبة، وربما كانت شفوية، ويتمرس على الإلقاء، وقد يتطلب منه كتابة ما يقول. ويكلف الطفل بأعمال يدوية، ويؤدي أنشطة حقيقية في الحديقة، كأن يزرع أو يسقي الأشجار، أو ينظفها، أو أن يشارك في النجارة، فيعرف أسماء الأدوات المستعملة وطريقة استعمالها .

وتعده المدرسة جملة لأي نشاط تصور يمكن أن يقوم به في الشارع أو البيت، ولأنه كائن اجتماعي فيجب إعداده للحياة في المجتمع، وأن تكون له علاقات إيجابية بالآخرين، سواء كانوا أطفالاً أو راشدين، ويتعلم أن يتفاعل معهم، وأن يخاطبهم في مختلف المواقف .

والفصل في طريقة ديكرولي مجتمع صغير، يسلك فيه الجميع عن طواعية ودون إجبار، ويستشعر كل طفل أنه ليست عليه ضغوط، ويختار ما يريد، ويُكلف بمهام يتعلم من خلالها المسؤولية والواجب والعطف على الآخرين، ومساعدتهم، واحترامهم .

ديكرولي بلجيكي، تأثر بشدة بسيكولوجية روس Jean-Jacques Rousseau و الطبيعية، وبسبب توجهاته التربوية الخاصة أسس ببروكسل معهداً للتربية الخاصة للأطفال المتخلفين وغير الأسوياء (1901)، ثم شمل نشاطه التربوي الأطفال الأسوياء، فأنشأ مدرسته المشهورة ببرامجها النشطة (1907)

جعلها في وسط طبيعي بحيث يستطيع الطفل أن يشاهد يومياً مظاهر الطبيعة المتجددة من حوله، وأن يلاحظ الطيور والحيوانات والحشرات تتناسل وتتغذى وتتفاعل مع بعضها، ومع ظروف المناخ والبيئة

تقوم تربية ديكرولي على الملاحظة والتجربة والنشاط الذاتي، والعناية بحاجات الطفل الأساسية كالتغذية، والإشراف الصحي المستمر، والمحافظة عليه من التقلبات الجوية، وحمايته من الأخطار الخارجية، وتسليته

يكلف الطفل بأعمال يدوية، ويؤدي أنشطة حقيقية في الحديقة، كأن يزرع أو يسقي الأشجار، أو ينظفها، أو أن يشارك في النجارة، فيعرف أسماء الأدوات المستعملة وطريقة استعمالها.

وتقوم سيكولوجية ديكرولي في التعليم للأطفال الصغار على انتهاج الطريقة الإجمالية، بإحاطة الطفل بالبيئة المناسبة، وإثارة انتباهه إلى ما فيها من الأحداث والناس، وما يمكن أن تتضمنه من أنشطة، والأفكار التي يمكن أن ينصرف الذهن إليها، ويتم ذلك بطريقة غير متميزة، بحيث يكون إدراكه للأمور في البداية إدراكاً كلياً .

وكتب ديكرولي الكثير من المقالات حول ما ينبغي أن تكون عليه التربية للنشء، وما يمكن أن تتضمنه برامجها، والاختبارات التي يمكن أن تؤدى وصياغتها. وكانت لمؤلفاته التربوية وطرقه الخاصة ردود فعل في بلجيكا نفسها وفي خارجها، فجعلت وزارة التربية البلجيكية طريقته هي الطريقة الرسمية في التعليم في المدارس الأساسية، وعممتها في كل مؤسساتها التربوية، وانتشرت طريقته في أوروبا حتى كانوا يسمون المدارس باسمه

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

هنري ديلاكروا Henri Delacroix

هنري ديلاكروا Henri Delacroix (1873– 1937) فيلسوف وطبيب نفسي، من علماء النفس الفرنسيين الأكثر شهرة في بداية القرن العشرين. وُلد في باريس، ويعتبر أيضاً من أقطاب علم النفس الديني، تعلم في جامعة باريس، وعلم بها، وله كتاب "بحث في التصوف النظري في ألمانيا في القرن الرابع عشر" (1899)، و "دراسات في تاريخ التصوف وسيكولوجية كبار الصوفية المسيحيين" (1908)، و"الدين والإيمان" (1922) و "اللغة والفكر" (1924)، و"سيكولوجية الفن" (1927)

هنري ديلاكروا Henri Delacroix ((1873- 1937 فيلسوف وطبيب نفسي، من علماء النفس الفرنسيين الأكثر شهرة في بداية القرن العشرين. وُلد في باريس، ويعتبر أيضاً من أقطاب علم النفس الديني، تعلم في جامعة باريس، وعلم بها

ومن أفضل ما كتب في هذا المجال تحليله للوجدان الصوفي، والهدف النهائي للتصوف برأيه هو المطابقة بين الوجدان والفعل، وأن يكون ما يستشعره الصوفي هو ما يفعله، وفعل الصوفي يؤكد به ذاته ويدرك فيه نفسه .

ويعرف التصوف بأنه شعور باطني بالحضور الإلهي، ويعتبر إن المعرفة الصوفية تختلف عن المعرفة المنطقية، فالصوفية أوسع وأسمى، لأن الصوفي بالوجدان يتجاوز حدود المنطق. وهو إنسان تجتمع فيه مرة واحدة ما يمكن أن يتفرق في الناس العاديين: المشاعر الوجدانية، والمعرفة المنطقية، والعمل الإيجابي .

ويحلل ديلاكروا العاطفة الدينية على أنها شعور سامٍ يسمو المرء بنفسه ويرتفع إلى درجات أعلى تتجاوز همومه ومشكلاته، والتدين فيه خلاص، ويؤكد الحياة والقيم. والمتدين يؤمن لنفسه المعرفة باهداف وغايات لا يمكنه

التفكير فيها ولا يمكنه استشعار الحاجة إليها لولا إيمانه، والإيمان يعصم من الشك وبه تكون النفس مطمئنة .

والعلاقة بين الدين وعاطفة التدين كالعلاقة بين اللغة والفكر، والدين هو لغة العاطفة. والفرق بين الدين والعلم، أن كليهما يلبي حاجة نفسية اجتماعية، إلا أن العلم له حدود يتجاوزها الدين. والتدين فيه تصور للعالم أكبر من تصور العلم له، وبدون هذا العنصر الكوني لا يكون الدين، وبدون المعتقدات يتهافت الدين، والمعتقدات هي التي تشبع الحاجة النفسية للإنسان لأن يفهم الكون، وأن يكون في انسجام معه .

والدين لا يستغني عن الشعائر لأنها تُعد المتدين نفسياً، وهي المدخل الطبيعي للتدين، وتطبعه نفسياً، وتستغرقه الطقوس فينسى فيها العالم المادي، ويتطهر، وتشرئب نفسه للعاطفة الدينية .

واللغة عند ديلاكروا هي نشاط نفسي، وهي فعل العقل الذي يتحدد به العالم من حوله، وتنعقد به العلاقات التي تصنع تجربته المعاشة. وباللغة تتعين المعطيات المباشرة، وبقدر ما لدى الإنسان من مفردات اللغة بقدر اتساع معارفه .

واللغة تعبير عن النفس، والكلام المنطوق فيه راحة نفسية. ولكي نتكلم لا بدّ أن نتخارج عن الأشياء ولا نكون شيئاً، وعندما نتكلم فنحن نتكلم عن شيء في علاقته بأشياء أخرى. واللغة توجد بها الأشياء في العقل، وبها تصبح المحسوسات موضوعات وامتثالات. والكلمات قوى نشيطة تغزو الأشياء وتحيط بها وتتلبسها. وحيثما كانت الكلمات تواجدت الأشياء .

وفي كتابه "سيكولوجية الفن" يردّ الجانب الأكبر في الفن إلى النشاط النفسي، ويقول إن العقل الإنساني يضع نفسه فوق الطبيعة، والفن تعبير عن حاجة نفسية لتجميل الواقع، وهو ممارسة للنزوع النفسي القوي للعب وللهو، وهو فضلاً عن ذلك يشارك في تعميق الإدراك الحسي بالحياة لدى الإنسان والجماعة الإنسانية .

ومن أفضل ما كتب في هذا المجال تحليله للوجدان الصوفي، والهدف النهائي للتصوف برأيه هو المطابقة بين الوجدان والفعل، وأن يكون ما يستشعره الصوفي هو ما يفعله، وفعل الصوفي يؤكد به ذاته ويدرك فيه نفسه

ويعرف التصوف بأنه شعور باطني بالحضور الإلهي، ويعتبر إن المعرفة الصوفية تختلف عن المعرفة المنطقية، فالصوفية أوسع وأسمى، لأن الصوفي بالوجدان يتجاوز حدود المنطق

ويحلل ديلاكروا العاطفة الدينية على أنها شعور سامٍ يسمو المرء بنفسه ويرتفع إلى درجات أعلى تتجاوز همومه ومشكلاته، والتدين فيه خلاص، ويؤكد الحياة والقيم

والفن أكبر من أن ينحصر كنشاط في اللعب أو أن يكون صدوره عن حاجة نفسية واحدة. وهو اجتماع لكل الأنشطة الإنسانية، وفي نشاطه تتصرف كل الأنشطة الإنسانية. وتجتمع في اللذة الجمالية لذة الإحساس بالصورة أو الشكل، ولذة الانفعال بالمعنى أو المحتوى، واللذة الحسية بالاستمتاع بالفن الذي ينظم الإحساس، وينعكس النسق الفني على الإحساس فيجعله نسقاً، ومصدر اللذة هو هذا الاستحداث للنسق، وبدون أن يكون هناك بناء نسقي في الفن والإحساس، تكون الفوضى الفنية والحسية .

والإدراك الجمالي إدراك حسي بالبناء وبالشكل والنسق، وحتى الأفكار عندما تنتظم في نسق يكون الشعور العقلي والنفسي بالراحة، وما يميز النسق أو البناء في الجمال أنه تجتمع فيه تنوعات ولكن في وحدة، ويكون فيه التحالف والتآلف، وتحكمه المعقولية، ويشيع فيه الوضوح. ومعنى النسق الجمالي أنه يرتبط بمعنى إجمالي وبقيم، وبدون المعنى والقيمة يكون النضوب والعوز والفقر في العمل الفني، فاللوحة أو القطعة الموسيقية لا يمكن أن تكون مجرد خطوط أو أنغام فقط، ولا يمكن أن تكون القصيدة مجرد ألفاظ في ترتيب معين، وإنما نطلب في الترتيب أن يرمز للحالة النفسية التي كانت للفنان وقت أن صنع اللوحة أو القصيدة أو السمفونية. والسلوك يُعدي، والترتيب في الفن يقابله ترتيب وانتظام عند المستمع والمشاهد والقارئ، والمعنى الجميل هو المعنى المشحون نفسياً بقوة، والذي يبديه المشاهد أو المستمع أو القارئ، وبالأفكار والكلمات يكون الشاعر شاعراً مؤثراً، وأيضاً بالأفكار والألوان يكون الرسام مؤثراً، وكذلك الحال مع كل فنان.

والعلاقة بين الدين وعاطفة التدين كالعلاقة بين اللغة والفكر، والدين هو لغة العاطفة. والفرق بين الدين والعلم، أن كليهما يلبي حاجة نفسية اجتماعية، إلا أن العلم له حدود يتجاوزها الدين. والتدين فيه تصور للعالم أكبر من تصور العلم له

والدين لا يستغني عن الشعائر لأنها تُعد المتدين نفسياً، وهي المدخل الطبيعي للتدين، وتطبعه نفسياً، وتستغرقه الطقوس فينسى فيها العالم المادي، ويتطهر، وتشربه نفسه للعاطفة الدينية

الإدراك الجمالي إدراك حسي بالبناء وبالشكل والنسق، وحتى الأفكار عندما تنتظم في نسق يكون الشعور العقلي والنفسي بالراحة

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

John Deweyجون ديوي

جون ديوي (1859– 1952) John Dewey أشهر من نوهت به المراجع التربوية كفيلسوف وتربوي. نادى بإصلاح التعليم، وكان من البارزين في علم النفس الوظيفي في العشرينات، واعتُبر الفيلسوف الأول لأميركا، وقيل إنه لو كانت هناك وظيفة أستاذ على نطاق الأمة الأميركية لشغلها جون ديوي عن جدارة .

جون ديوي John Dewey (1859-1952) أشهر من نوهت به المراجع التربوية كفيلسوف وتربوي. نادى بإصلاح التعليم، وكان من البارزين في علم النفس الوظيفي في العشرينات

وكان ديوي يفاخر بأنه معلم، وامتهن التدريس طوال حياته، وخرّج أجيالاً من المدرسين، وكان من القلائل الذين درّسوا علم النفس التربوي، و يعتبر من أشهر أعلام التربية الحديثة على المستوى العالمي. ارتبط اسمه بفلسفة التربية لأنه خاض في تحديد الغرض من التعليم وأفاض في الحديث عن ربط النظريات بالواقع من غير الخضوع للنظام الواقع والتقاليد الموروثة مهما كانت عريقة .

ويعتبر من أوائل الذين أسسوا في أمريكا المدارس التجريبية بالاشتراك مع زوجته في جامعة شيكاغو ..عيّن سنة 1894 لرئاسة قسم الفلسفة في جامعة شيكاغو، وغيروا اسم القسم خصيصاً من أجله، فجعلوه قسم الفلسفة وعلم النفس والتربية، لأنه كان يريد أن يربط التربية بعلم النفس والفلسفة. وكانت زوجته شريكته في ذلك.

كان ديوي يطمح لبناء مجتمع ديمقراطي وفلسفة علمية لوضع توازن فيه قيمة الفرد مع قيمة الجماعة والمجتمع. وبرأيه ان النظام الصحيح هو الذي

يحقق المرونة بعلاقة الفرد بالمجتمع الذي ينتمي اليه ويعيش فيه، وقد تجلت عبقريته في ربطه ربطاً واعيا بين التربية والمجتمع والحياة. لقد اكد على العلاقة الوثيقة بين التقدم العلمي والنظام الديمقراطي ولقد استفادت أمريكا من افكاره في موضوع التربية وجذب العقول واستقطاب كل علماء الأرض، ويعتبر ديوي أن الفلسفة هي سلطة تشريعية مهمتها نقض القيم الحاضرة واقتراح قيم جديدة تواكب التغيرات الحاصلة في الحياة. ومن مهمة الفلسفة أيضا تفسير نتائج العلم الاختصاصي.

والتعليم التقدمي أو التدريجي هي حركة نمت وتطورت من محاولات إصلاح التعليم الأمريكي بين أواخر القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين، وتعود جذورها إلى فلاسفة عصر النهضة، وبالأخص الفيلسوف التربوي جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau وكذلك يوهان بستالوزي J.H.Pestalozzi وفريدريك فرويبل .Friedrich Fröbel وهذه الظاهرة احتضنت وشملت المجالات الزراعية والاجتماعية والتعليمية، وطالت هذه النظريات التعليمية التطور الصناعي الجديد .

تؤكد نظرية التعليم التقدمي على استمرارية إعادة بناء الخبرة الحياتية وتضع تربية الطفل في مركز الاهتمام. ديوي ذكر أن على المدرسة أن تعكس مستوى التطور الاجتماعي، وقد أحدثت هذه النظرية تأثيراً دائماً على المدارس الأمريكية.

بالنسبة لديوي، تطورت الحياة وأصبح المجتمع الأمريكي مجتمعا صناعيا وبرأيه المدرسة يجب أن تكون مجتمعا صغيرا تدب فيها الحياة. فكان يدعو إلى التربية المستمرة التي لا تتوقف عند سن معين. فالتربية هي من المهد إلى اللحد وليست جرعة تعطى مرة واحدة والى الأبد، بل هي بحاجة إلى الاستمرار لأن العلم لديه دائما شيء جديد يوافينا به. ونظرته نحو التربية ترتكز على التعلم من خلال العمل والعمل اليدوي وحل المشاكل بطريقة

كان ديوي يفاخر بأنه معلم، وامتهن التدريس طوال حياته، وخرّج أجيالاً من المدرسين، وكان من القلائل الذين درّسوا علم النفس التربوي، و يعتبر من أشهر أعلام التربية الحديثة على المستوى العالمي

يعتبر من أوائل الذين أسسوا في أمريكا المدارس التجريبية بالاشتراك مع زوجته في جامعة شيكاغو.. عيّن سنة 1894 لرئاسة قسم الفلسفة في جامعة شيكاغو، وغيروا اسم القسم خصيصاً من أجله، فجعلوه قسم الفلسفة وعلم النفس والتربية

سيكولوجية دون جرح مشاعر الطلاب وأن المدرسة هي مختبر وليست قاعة محاضرة .

ويرفض ديوي نظرية جون لوك John Locke التي ترى بأن "الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء خالية من الكتابة". فالعلاقة الصحيحة، برأيه قائمة على التفاعل وهذا يعني أن طريقة التدريس الملائمة هي التي تعتمد على الحوار وحل المشكلات والتعلم الذاتي. والفكر الحقيقي لديوي يبدأ من موقف اشكالي من عقدة أو عقبة تعترض مجرى التفكير فالطبيعة تتغير باستمرار وتغتني وتزداد ثراء وتغير الفكر معها وهكذا فان العملية مستمرة فلا حقائق مطلقة ولا المعرفة ثابتة فكل شيء يعتريه التغيير .

ولقد وضع ديوي كتابا سماه "كيف نفكر وكيف نحل المشاكل" ووضع خمس مراحل لحل أي مشكلة وهي:

1. الشعور بالمشكلة
2. تعريف المشكلة وتحديدها
3. وضع الفرضيات واقتراح الحلول
4. التحقق من التجربة أي اختبار الفرضيات
5. الوصول إلى النظرية والتعميم.

وديوي من أسرة متواضعة، وتعلم بجامعة فيرمونت The University of Vermont، وحصل على الدكتوراه من جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins (1884)، وعلم بجامعات ميتشغان University of Michigan ومينيسوتا University of Minnesota . وفي ميتشغان أبدى اهتماماً شديداً بالحركة التربوية، وانتقد بشدة التربية الأميركية التي لم تستطع أن تستوعب اكتشافات علم النفس في مجال الطفولة، ولم تواكب حاجات المجتمع الأميركي المتنامية واتجاهاته الديمقراطية. وفي شيكاغو أصدر مؤلفاته الكبرى، وانصرف فيها عن فلسفة هيغل Hegel Georg Wilhelm

كان ديوي يطمح لبناء مجتمع ديمقراطي وفلسفة علمية لوضع توازن فيه قيمة الفرد مع قيمة الجماعة والمجتمع. وبرأيه ان النظام الصحيح هو الذي يحقق المرونة بعلاقة الفرد بالمجتمع الذي ينتمي اليه ويعيش فيه

اكد على العلاقة الوثيقة بين التقدم العلمي والنظام الديمقراطي ولقد استفادت أمريكا من افكاره في موضوع التربية وجذب العقول واستقطاب كل علماء الأرض

Friedrichالتي أساسها القول بالمطلق؛ إلى فلسفة من صميم الروح الأميركية هي البراغماتية، وكان أحد ثلاثة (جون ديوي John Dewey و تشارلز ساندرز بيرس Charles Sanders Peirce و ويليام جيمس William James) أرسوا قواعدها، وقال بنظرية ذرائعية في المعرفة، فالأفكار والمعارف والنتائج والغايات وسائل وذرائع لبلوغ غايات جديدة، ولتعديل المعايير باستمرار في ضوء الخبرات المتراكمة، أي أنها ذرائع لمزيد من العمل .

وبرأيه المدرسة يجب أن تكون مجتمعا صغيرا تدب فيها الحياة. فكان يدعو إلى التربية المستمرة التي لا تتوقف عند سن معين. فالتربية هي من المهد إلى اللحد وليست جرعة تعطى مرة واحدة والى الأبد

والمنطق الذرائعي هو الذي يبني أحكامه على التجربة. وفلسفة ديوي التربوية أساسها هذه الذرائعيةInstrumentalism ، ومفتاحها هو مفهومه عن الخبرة، ونزعته التجريبية التي تقوم على علم النفس الوظيفي، والذي يركز على الكائن الحي ككل في محاولاته التكيّف مع البيئة. والتفاعلية Interactionismالتي يقول بها ديوي، هي تفاعلية الكائن الحي بالبيئة. والمدرسة ينبغي لذلك أن تكون صورة مصغرة عن المجتمع. ولما افتتح ديوي مدرسته التجريبية الملحقة بالقسم الذي يرأسه، راعى في برامجها ومناهجها وطرق التدريس بها أن تكون إصلاحية للتعليم وللمجتمع، لأن أي إصلاح للمجتمع لا بدّ أن يبدأ من المدرسة. واشتهرت مدرسته التجريبية Laboratory schoolباسم مدرسة ديوي .Dewey school وكان ينادي بنوع من التربية يربط الوعي بالبيئة والطبيعة، ويقول إن الخبرة هي خبرة بالبيئة والطبيعة. والخبرة شاملة، والإنسان بالخبرة تكون له تعاملات Transactionsمع كل ما هو في محيطه، وبالبحث المنهجي يستطيع أن يفهم خصائص المجتمع والطبيعة. ووصف ديوي الخبرة بأنها نشاط يتسم بالمباشرة والجمال، بمعنى أن خصائص الخبرة شيء لا يتوقف على الشعور الذاتي بصاحب الخبرة، ولكنها خصائص تتخلل وتعم الخبرة أو الموقف ككل. والخبرة أو الموقف هو كل بالنسبة لخصائصه المباشرة، فعندما نعاني الخوف

من موقف، أو نبتهج أو نبتئس لخبرة، فإننا نعاني الموقف أو الخبرة ككل، ونضفي على الموقف أو الخبرة معانٍ، ونترجمها إلى أفكار، ونثريها بالانفعالات، ونحاول أن نفك غموضها وإبهامها ونجعل منها شيئاً مفهوماً.

نظرته نحو التربية ترتكز على التعلم من خلال العمل والعمل اليدوي وحل المشاكل بطريقة سيكولوجية دون جرح مشاعر الطلاب وأن المدرسة هي مختبر وليست قاعة محاضرة

وديوي عالم نفس خبرات، ويقول إننا في الخبرة نستخدم الذكاء لنعيد بناء الموقف المُشكل، بتحديد إشكاله، ونفترض لذلك الفروض للحل، ونجربها حتى ننجح في الحل فعلاً، والنجاح هو محك مصداقية الفرض أو الفكرة. والفروض والأفكار أدوات Instruments لتحقيق النتائج المطلوبة، ونستعين بها في حل المشاكل. والمعرفة مستمدة من الخبرة. والأشياء عند ديوي هي كما تدركها الحواس، ووجودها هو الوجود الذي ندركه لها من خلال الخبرة .

ويقول ديوي عن التفكير إنه تفكير في مشكلة، والإنسان لا يفكر إلا إذا كانت لديه مشاكلات والاّ لخلت حياته من التفكير. والتفكير لذلك هادف، وهو ضروري ويلبي حاجة، كأن يجيب عن سؤال، أو يزيل الغموض، أو يرفع الشك .

وإذا حُلت المشكلة توقف التفكير، ويُستأنَف كلما عرضت مشكلة جديدة، والإنسان دائماً يريد أن يعرف. ويبني ديوي نظامه التربوي أو مدرسته في التربية على سيكولوجية التفكير كما يراها في نسقه التربوي. ويجعل من طريقته في البحث أو ما يسميه منطق البحث إدارة لحل المشكلات ولجلاء الغموض في الموقف، فإذا كان البحث ناجحاً تحول الموقف المبهم إلى موقف محدد، يثري صاحب الخبرة بالمعلومات التي تعدل من معلوماته السابقة، وتضيف إليها، وتمنحه في النهاية اليقين، وتنقله إلى مرحلة الاعتقاد. والبحث عن الحل لا بدّ أن يجري دائماً داخل إطار أو سياق اجتماعي. وبحوث كل موضوع تتواصل بغيرها من بحوث الموضوعات الأخرى ولا تنعزل عنها.

أن طريقة التدريس الملائمة هي التي تعتمد على الحوار وحل المشكلات والتعلم الذاتي

والبحث في الموضوع الواحد يجر الباحث إلى التواصل مع باحثين آخرين، بحيث أن البحث بشكل عام ينتظم كل أفراد الجماعة ويجمع بينهم، حتى ليمكن القول إننا جميعاً مجتمع من الباحثين، فالبحث يتطلب مجتمعاً يقوم أولاً، ويتوفر له ثانياً، ويعمل على تطويره ثالثاً. والبحث عملية دائبة من التصحيح الذاتي، فلا وجود للمطلقات، والمعرفة نسبية موضوعية معقولة، ومن ثم تخضع المعارف والنتائج للاختبار الدائم من قِبل مجتمع الباحثين .

ونظرية ديوي في التربية الديمقراطية أساسها انتقاده لنظام التعليم الذي يقوم على طريقة التلقين وسلبية المتلقي. والتربية عنده إعادة بناء مستمرة لعقلية الطفل، وتفتيح لشخصيته، واستثمار لإمكاناته، واكتشاف لاستعداداته، وتنمية لميوله، من خلال المشاركة بين الطفل وأبويه، وبينه وبين المدرس، وبينه وبين الأطفال الآخرين. والطفل تتطور خبراته من خلال المشاركة، من خبرات غير ناضجة إلى خبرات توظف فيها مهاراته وعاداته الفكرية. ونظرية التعلم عند ديوي توجزها عبارة "تعلم بالممارسة."Learn by doing

والتربية التي تأخذ بنتائج علم نفس الطفل، والتي تضع في اعتبارها نظريات التعلم والتجارب في مجاله، هي التربية الواعية التي ترشد الطفل لتزدهر قدراته الإبداعية، وتتأكد استقلاليته، بتهيئة كل الظروف البيئية التي تغذي عاداته الفكرية، وتنمي ميوله، وتطور أخلاقياته. وليس تعليمه الأخلاق أو الديمقراطية بتحفيظه شعاراتهما، وإنما بتدريبه على أن يكون موضوعياً، وأن ينفتح فكرياً على الخبرات الجديدة، وأن ينمي خياله، ويوطّن نفسه على تفهم الآخرين، وأن نغرس فيه الشجاعة التي تمكنه من تغيير أفكاره في ضوء المزيد من الخبرات. وليس قوله إن المدرسة مجتمع صغير، بمعنى أنها تمثل المجتمع الكبير بعيوبه وفضائله، وإنما تمثل مؤسساته الاجتماعية .

والمدرسة هي وسيلة المجتمع لتنشئة الطفل الصالح الذي سيكون مواطن الغد الصالح. وفي بيئة المدرسة الموجهة يمكن تطوير الأطفال النابهين ليستطيعوا حمل رسالة الإصلاح غداً .

المدرسة هي وسيلة المجتمع لتنشئة الطفل الصالح الذي سيكون مواطن الغد الصالح. وفي بيئة المدرسة الموجهة يمكن تطوير الأطفال النابهين ليستطيعوا حمل رسالة الإصلاح غداً.

ولم تسلم أفكار ديوي التربوية من نقد الكثيرين، بدعوى أن نتائجها لم تكن جيدة، وأن التعليم تدهور بها ولم يتقدم. ومع ذلك فقد عرفت فضله ثلاث عشرة جامعة أمريكية ومنحته الدكتوراه الفخرية، ومنحته الصين وشيلي أرفع أوسمتهما، وانتخب رئيساً فخرياً لرابطة التربويين الأميركيين (1932)، ورئيساً فخرياً مدى الحياة للرابطة الأميركية للمشتغلين بالفلسفة، ونائباً فخرياً للحزب الليبرالي عن نيويورك (1952). وكان ديوي أحد مؤسسي رابطة أساتذة الجامعات الأميركية، وأحد الذين وضعوا دستور اتحاد المدرسين، وساعد في تأسيس المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي (1919)، وجامعة المنفى in exile Universit (1933)التي أقيمت لتجمع كل أساتذة الجامعات الهاربين من الطغيان في بلادهم .

عرفت فضله ثلاث عشرة جامعة أمريكية ومنحته الدكتوراه الفخرية، ومنحته الصين وشيلي أرفع أوسمتهما، وانتخب رئيساً فخرياً لرابطة التربويين الأميركيين (1932)، ورئيساً فخرياً مدى الحياة للرابطة الأميركية للمشتغلين بالفلسفة

وكان يكتب المقالات في الصحف، وتعليقاته من أفضل التعليقات الصحفية، ودعمت شهرته العلمية. وقيل إن مقالاته ومؤلفاته لو أحصيت لاستوعبت 125 ألف صفحة من القطع الكبير .A4 وكان كتابه "الخبرة والطبيعة (1925) "Experience and Nature أهم مؤلفاته، ويجمع خلاصة مذهبه في علم النفس والتربية والفلسفة. وله أيضاً "مفهوم قوس الانعكاس في علم النفس "The Reflex Arc Cencept in Psychology (1896)، و "المدرسة والمجتمع(1899) "The School and Society ، و "الديمقراطية والتربية(1916) "Democracy and Education) ، و "الطبيعة الإنسانية والسلوك(1922) "Human Nature and Conduct ، و "الفن كخبرة .(1938) "Art as Experience

في نفس الفترة ظهرت حركات تعليمية مشابهة في أوروبا ومتأثرة بأفكار ديوي كما وأنه تأثّر ببعض أساليب التربية الأوروبية مثل أسلوب الصف المفتوح open classroom وكذلك بنظريات الإصلاح التربوي الذي دعت أليه الطبيبة والمربية وعالمة النفس الفيلسوفة الأيطالية ماريا مونتسوري

Maria Montessori (1870–1952)التي طورت نهجًا تعليميًا جديدا يركز على الطفل على أساس الملاحظة والاستكشاف والتي تأثرت بأفكارها دور الحضانة السويدية، ولا زال تأثيرها ساري المفعول إلى هذه اللحظة في معظم دول العالم.

لقد كانت حياة ديوي تعج بالنشاط والحركة، حيث تعدى تأثيره الولايات المتحدة الأمريكية وامتد إلى بقية العالم فترجمت كتبه إلى لغات عديدة واستشارته الحكومة الروسية عقب ثورتها ليضع نظامها التعليمي على اسس تقدمية، وزار محاضرا كلا من اليابان، الصين، تركيا، المكسيك، وكانت لنظرياته وطرائقه أعمق الاثر في توجه التربية في سائر الأمم الناطقة باللغة الإنكليزية والمتأثرة بثقافتها.

لقد كانت حياة ديوي تعج بالنشاط والحركة، حيث تعدى تأثيره الولايات المتحدة الأمريكية وامتد إلى بقية العالم فترجمت كتبه إلى لغات عديدة واستشارته الحكومة الروسية عقب ثورتها ليضع نظامها التعليمي على اسس تقدمية

ترجم الدمشقي متري قندلفت (1859 –1933) كتاب (المدرسة والاجتماع) لديوي الى العربية، حيث طبع في دار المعارف في مصر عام 1928م، وقرَّظه أمير بقطر أمين الجامعة الأمريكية في القاهرة في (المقتطف) عام 1927م. كما ترجم متري الى العربية كل من كتاب (مدرسة الغد) لديوي وكتاب (تربية الأطفال ومدارسهم) لماريا منتسوري.

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

حـــرف "الـــراء"

دافيـــد رابابـــورت
فرانســـوا رابليـــه
فولفجانـــج راتكـــه
زكريـــا الـــرازي
أوتـــو رانـــك
إسحـــاق راي
وليـــم رايـــخ
يحيـــى رخـــاوي
كـــارل روجـــرز
هيرمـــان رورشـــاخ
جـــان جـــاك روســـو
جيـــزا روهايـــم
تيوديـــل ريبـــو

David Rapaport دافيد رابابورت

ديفيد او دافيد رابابورت (1911- 1960 David Rapaport) يهودي مجري الأصل، تجنس بالجنسيتين الإسرائيلية والأميركية، كان طالبًا متفوقًا، حصل على درجة البكالوريوس في الرياضيات والفيزياء التجريبية عام 1935، ودرجة الدكتوراه في علم النفس والفلسفة عام 1938، حصل عليها جميعًا من جامعة بازماني بيتر المجرية الملكية Pázmány Péter University في بودابست.

ديفيد او دافيد رابابورت (1911- 1960 David Rapaport) يهودي مجري الأصل، تجنس بالجنسيتين الإسرائيلية والأميركية، كان طالبًا متفوقًا، حصل على درجة البكالوريوس في الرياضيات والفيزياء التجريبية عام 1935، ودرجة الدكتوراه في علم النفس والفلسفة عام 1938، حصل عليها جميعًا من جامعة بازماني بيتر المجرية الملكية Pázmány Péter University في بودابست.

منذ سن المراهقة، انضم رابابورت في المنظمة الصهيونية وساعد يهود المجر على الهجرة إلى فلسطين. ومن عام 1932 - 1934، عاش رابابورت في كيبوتس في فلسطين، حيث التقى وتزوج إلفيرا شتراسر.

في ديسمبر 1938، هاجر رابابورت واسرته إلى الولايات المتحدة، برعاية لجنة الطوارئ للإغاثة والهجرة التابعة للجمعية الأمريكية للتحليل النفسي. في البداية، عمل كطبيب نفسي في مستشفى ماونت سيناي Mount Sinai Hospital، ثم تولى وظيفة مماثلة في مستشفى ولاية أوساواتومي Osawatomie في كانساس Kansas ومن عام 1940 إلى عام 1948.

كان رابابورت عضوًا في طاقم مصحة مينينجر Menninger في توبيكا بولاية كانساس، ثم أصبح كبير علماء النفس ومدير الأبحاث. من عام 1948 حتى وفاته، كما كان عضوًا كبيرًا في طاقم مركز أوستن ريجز Austen Riggs Center، في ستوكبريدج Stockbridge بولاية ماساتشوستس Massachusetts.

و بقي يعمل به حتى توفي بنوبة قلبية عام 1960، عن عمر ناهز التاسعة والأربعين .

كان أول عمل

جدير بالملاحظة لرابابورت في مجال الاختبارات النفسية التشخيصية. وبدلًا من أن يكون مجرد عالم نفس قياسي، حاول تحديد ووصف التنظيمات المرضية للفكر. واعتبر تنظيم الفكر مفتاحًا للاليات الشخصية.

طور مجموعة الاختبارات الشاملة القياسية، تضمنت أساليب التقييم المعرفي والشخصي. كما قدم إطارًا لتحليل نتائج الاختبارات. وزعم أن كل سلوك واستجابة للاختبار مستمدة من شخصية الفرد، مما يوفر وسيلة لمراقبة كيفية تنظيم شخصيته.

لعب دوراً بارزاً في تطوير علم النفس التحليلي للأنا، ومن المرجح أن عمله مثل ذروته في دراسة بعنوان بنية نظرية التحليل النفسي (1960)، نظم علم النفس الأنا في نظرية متكاملة ومنهجية وتسلسلية قادرة على توليد فرضيات قابلة للاختبار تجريبياً. واعتبر نظرية التحليل النفسي . كما تم التعبير عنها من خلال مبادئ علم نفس الأنا . كان علم نفس العام قائم على أساس بيولوجي يمكنه تفسير النطاق الكامل للأداء النفسي البشري (على سبيل المثال، الذاكرة، والإدراك، والدافع) والسلوك. وبالنسبة له كان هذا المسعى متسقاً تماماً مع محاولات فرويد للقيام بنفس الشيء (على سبيل المثال، دراسات فرويد للأحلام، والنكات، و"علم النفس المرضي للحياة اليومية.(."

أحدث نهج رابابورت في الاختبارات النفسية ثورة في علم النفس السريري. واستخدم علماء النفس أول دليل له على نطاق واسع أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي شكله النهائي أصبح كتاب "الاختبار النفسي التشخيصي" المكون من مجلدين (1945–1946)، والذي ظل مستخدماً على نطاق واسع من

في ديسمبر 1938، هاجر رابابورت واسرته إلى الولايات المتحدة، برعاية لجنة الطوارئ للإغاثة والهجرة التابعة للجمعية الأمريكية للتحليل النفسي

كان رابابورت عضوًا في طاقم مصحة مينينجر Menningerفي توبيكا بولاية كانساس، ثم أصبح كبير علماء النفس ومدير الأبحاث. من عام 1948 حتى وفاته

طور مجموعة الاختبارات الشاملة القياسية، تضمنت أساليب التقييم المعرفي والشخصي. كما قدم إطارًا لتحليل نتائج الاختبارات

قبل علماء النفس حتى ثمانينيات القرن العشرين. كما نقل رابابورت النظرية التحليلية النفسية إلى القرن العشرين من خلال محاضراته وكتاباته. كان أسلوبه في إلقاء المحاضرات "غير عادي ومخيفاً لبعض الناس، وخاصة أولئك الذين اعتادوا على اللباقة في الخطاب العلمي. لقد ناقش علم النفس المجرد بحماسة خطيب سياسي وهدير نبي عبراني ."

كان تأثيره كبير على جيل من علماء النفس السريري والمحللين النفسيين، ولا سيما Merton Gill، وRoy Schafer ، و George Stuart Klein ، و Robert Rutherford Holt ، في استكشافهم لمواضيع متنوعة مثل الاختبارات التشخيصية، والأسلوب المعرفي ، والإدراك الباطني ، والحالات المتغيرة ، واستقلالية الأنا. ومن خلال عمله، أصبحت عيادة مينينجر معروفة بالتقدم الرائد في علم النفس السريري والتحليل النفسي.

وأخيرًا، كان رابابورت أحد المؤسسين والأمين الأول (1946–1949) لقسم علم النفس السريري وغير الطبيعي الذي تم تشكيله حديثًا في الجمعية الأمريكية لعلم النفس.

عندما التقى آنا فرويد في ووستر، ماساتشوستس عام 1950، قالت له: "دكتور رابابورت، أنت تعرف علم النفس أكثر من أي منا "!

يمكننا القول ان كتاباته هي مجاهدات مستميته في وضع نظريات علم النفس والتحليل النفسي في أنساق تعطيها الشكل العلمي، وأغلبها مقالات نشرها في دوريات علم النفس والتحليل النفسي، ومنها بعض الكتب، وشملت النظريات في التفكير، والعواطف والانفعالات، والذاكرة، والاختبارات النفسية التشخيصية، والتحليل النفسيي، وسيكولوجية الأنا، ونظرية التحليل النفسي في الدافعية، والشحن النفسي للانتباه، والحوافز الغريزية .

وبرغم أن رابابورت كانت له هذه المحاولات العلمية، إلا أن أسلوبه فيها كان كأسلوب الفتاوى الشرعية الربانية كما يقول نقاده ممن يعرفون عنه تزمته

زعم أن كل سلوك واستجابة للاختبار مستمدة من شخصية الفرد، مما يوفر وسيلة لمراقبة كيفية تنظيم شخصيته.

لعب دوراً بارزاً في تطوير علم النفس التحليلي للأنا، ومن المرجع أن عمله مثل ذروته في دراسة بعنوان بنية نظرية التحليل النفسي (1960)

أحدث نهج رابابورت في الاختبارات النفسية ثورة في علم النفس السريري. واستخدم علماء النفس أول دليل له على نطاق واسع أثناء الحرب العالمية الثانية

الصهيوني، أي أنها تفتقد في الحقيقة في التأصيل العلمي، وليست سوى أمانٍ طموحة قصرت دونها همته. وليس له ما يعذره فيها إلا حبه للتدريس، وأن يتحدث في الموضوعات العلمية بطريقة المدرسين التقريرية .

أعماله :

العواطف والذاكرة(1942) Emotions and Memory ؛ الاختبار النفسي التشخيصي(1945) Diagnostic Psychological Testing ؛ النموذج التصوري للتحليل النفسي The Conceptual Model of Psychoanalysis (1951)؛ تنظيم وباثولوجيا التفكير Organisation and Pathology of thought (1951)؛ نظرية التحليل النفسي في الانفعالات On The Psychoanalystic Theory of Affects (1953)؛ نظرية استقلال الأنا The Theory of Ego Autonomy (1958)؛ نظرية تاريخية لسيكولوجية الأنا من خلال التحليل النفسي A Historical Survey of Psychoanalystic Ego Psychology (1959)؛ التحليل النفسي باعتباره علم نفس النمو Psychoanalysis as a Developemental Psychology (1960).

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

في شكله النهائي أصبح كتاب "الاختبار النفسي التشخيصي" المكون من مجلدين (1945-1946)، والذي ظل مستخدماً على نطاق واسع من قبل علماء النفس حتى ثمانينيات القرن العشرين

ان كتاباته هي مجاهدات مستميته في وضع نظريات علم النفس والتحليل النفسي في أنساق تعطيها الشكل العلمي، وأغلبها مقالات نشرها في دوريات علم النفس والتحليل النفسي

برغم أن رابابورت كانت له هذه المحاولات العلمية، إلا أن أسلوبه فيها كان كأسلوب الفتاوى الشرعية الربانية كما يقول نقاده ممن يعرفون عنه تزمته الصهيوني

François Rabelais فرانسوا رابليه

فرانسوا رابليه (حوالي 1483 الى 1494– 1553 François Rabelais) كاتب وروائي وأحد أعلام الحركة الإنسانية في فرنسا. ولد في قرية لادوفنيير La devinière بالقرب من مدينة شينون. Chinon

كان والده أنطوان صاحب أراضٍ ومحامياً معروفاً فيها. لا يعرف الكثير عن شبابه، ومن المرجح أنه كان نحو عام 1520 مكباً على دراسة اليونانية في أحد الأديرة، وأنه كان يتردد على منزل صديق والده المحامي تيراكو حيث يجتمع عدد من رجال القانون والفكر.

أصدر المفكر الإنساني إراسموس Erasmus في عام 1523 كتابه «شروح» باليونانية، مما أقلق جامعة السوربون التي عملت على مصادرة جميع الكتب المنشورة باليونانية، بما فيها كتب رابليه وأصدقائه، فهربوا من الدير .

حصل رابليه في عام 1524 بفضل إنعام بابوي على الإذن بالانتساب إلى رهبانية بنيدكتية، آملاً أن يجد فيها ملاذاً ملائماً للعمل الفكري، لكنه اضطر لمرافقة رئيس الدير في تنقلاته بين المقاطعات الفرنسية. وتخلى بعد ثلاث سنوات عن الرداء الكنسي وطاف عبر مدن أشهر الجامعات الفرنسية إلى أن استقر عام 1530 في مونبلييه حيث درس الطب، إلا أن ارتباك أوضاعه المالية اضطره للانتقال إلى مدينة ليون حيث عمل في إحدى مستشفياتها طبيباً.

حصل رابليه في عام 1524 بفضل إنعام بابوي على الإذن بالانتساب إلى رهبانية بنيدكتية، آملاً أن يجد فيها ملاذاً ملائماً للعمل الفكري، لكنه اضطر لمرافقة رئيس الدير في تنقلاته بين المقاطعات الفرنسية. وتخلى بعد ثلاث سنوات عن الرداء الكنسي

وأصدر عام 1532 كتاب «الأمثال المأثورة Aphorismes «لأبي الطب أبقراطHippokrates ، أتبعه بروايته الساخرة «بانتاغرويل « Pantagruel، ولكن بالاسم المستعار الكوفريباس نازييه Alcofribas Nasierخوفاً من تشويه سمعته العلمية الكبيرة. قدم رابليه في هذا الكتاب شخصية بانتاغرويل بن غرغانتوGargantua ، والأخير عملاق وبطل عدة سير شعبية منتشرة أكسبت الاسم شهرته، فيتناول مرحلة طفولة بانتاغرويل وأخبار دراسته في مختلف المدن الفرنسية. يلتقي بانتاغرويل في باريس بانورج Panurge الذي يشغل كامل الجزء المركزي من الكتاب، ولكن بانتاغرويل هو الذي يعود ليختتم الأحداث ببطولاته. ومع أن بانورج أكثر الشخصيات التي أبدعتها قريحة رابليه تفردا وأصالة إلا أن الكتاب مفكك في تأليفه، ولا رابط يشد أجزاءه بعضاً إلى بعض. وهو محاكاة ساخرة لروايات المغامرات الرائجة ومتقد بالحياة.

دخل رابليه بعد ذلك في حماية أسقف باريس جان دي بيليه Jean du Bellayذي النشاط الدبلوماسي، فرافقه بصفة طبيب في مهمة إلى روما. ونشر حال عودته إلى ليون، معتمداً على نجاح «بانتاغرويل»، «حياة غرغانتوا العظيم التي تفوق أي تقدير La vie inestimable du grand « Gargantuaعام (1534). والشخصية هي في الأصل من إبداع الخيال الشعبي: عملاق ضخم، ذو قوة جسدية خارقة وشهية فائقة إلى الطعام. وهو ما استغله رابليه لتحقيق تأثيرات تطلق الضحكات العريضة بطريقته في المحاكاة التهكمية. إلا أن رابليه يدين في هذا الكتاب حروب الفتح ويقدم رؤيته للمدينة الفاضلة. فهو يصور في دير تيليم L’abbay de Thélème مجموعة من النساء والرجال العلمانيين الذين يسعون إلى السعادة الكاملة والحرية المطلقة لأنه يؤمن بأن «من نشأ نشأة سليمة وتلقى تربية جيدة ونال حريته وتحاور مع رفاق شرفاء نزهاء فإن لديه بالطبيعة غريزة وحافزاً يدفعانه

طاف عبر مدن أشهر الجامعات الفرنسية إلى أن استقر عام 1530 في مونبلييه حيث درس الطب، إلا أن ارتباك أوضاعه المالية اضطره للانتقال إلى مدينة ليون حيث عمل في إحدى مستشفياتها طبيباً.

يؤمن بأن «من نشأ نشأة سليمة وتلقى تربية جيدة ونال حريته وتحاور مع رفاق شرفاء نزهاء فإن لديه بالطبيعة غريزة وحافزاً يدفعانه دوماً نحو الفضيلة ويبعدانه عن نزعة الشر».

دوماً نحو الفضيلة ويبعدانه عن نزعة الشر». وبهذا يقدم رابليه مجتمعاً مثالياً يسوده الوئام، وموعظته أن الإنسان يستطيع بفضل التربية والعقل أن يحافظ على سلامته وكرامته وأن يعيش في وئام مع الآخرين وسط جو من الرخاء والازدهار. وقد أدانت السوربون الكتاب الجديد إدانتها لسابقه. واضطر رابليه في العام التالي لمغادرة مدينة ليون، فرحل مجدداً إلى إيطاليا مرافقاً جان دي بيليه بعد أن خسر منصبه الطبي، إلا أن دي بيليه وفّر له دخلاً يفي بحاجاته.

يقدم رابليه مجتمعاً مثالياً يسوده الوئام، وموعظته أن الإنسان يستطيع بفضل التربية والعقل أن يحافظ على سلامته وكرامته وأن يعيش في وئام مع الآخرين وسط جو من الرخاء والازدهار

قُبل رابليه عام 1537 في عداد حاشية الملك، وغدا شخصية رسمية، وانصرف طوال عشر سنوات (1536–1546)، بعد تحرره من النذور الرهبانية، لممارسة الطب، وعاش حياة اتسمت بالمغامرة. ثم أصدر الكتاب الثالث من سلسلته «بانتاغرويل» في مطلع 1546، باسمه الصريح هذه المرة، وقد أهداه إلى مرغريت ملكة نافار، وشقيقة ملك فرنسا فرانسوا الأول. ولعل السر في هذا الإهداء يكمن في أنها كانت شديدة النهم إلى المعرفة وتستقبل في قصورها مثقفين إنسانويين .humanistes وقد وجدت السوربون الكتاب «متخماً بالهرطقة» فأدانته إدانتها للكتابين السابقين، فهرب رابليه إلى مدينة ميتز، ملتحقاً بجان دي بيليه الذي كان مكلفا بمهمة في روما. وفي أثناء مروره في مدينة ليون في عام 1548 نشر الفصول الأولى من الكتاب الرابع عن بانتاغرويل الذي لم تظهر تتمته إلا في عام 1552. أما الكتاب الخامس، فقد صدر جزء منه في عام 1562، بعد وفاته، ثم نشر كاملاً في 1564. ويحفل الكتابان بالتلميح إلى مؤسسات المجتمع القائمة وإلى أحداث العصر من ترحال بانتاغرويل في البحر إلى حد أن كل مرحلة من مراحل هذه الرحلة كانت رمزاً يدل على أمر واقعي .

انصرف طوال عشر سنوات (1536–1546)، بعد تحرره من النذور الرهبانية، لممارسة الطب، وعاش حياة اتسمت بالمغامرة

وعبر رابليه في كتاباته عن نفوره من التزهد وشظف العيش. وجعل من إثارة الضحك، عن طريق السخرية والتهكم، دواء للذين يعانون من الإحباط

وخيبة الآمال. لقد هزئ من المعتقدات الخرافية والأساليب البالية الموروثة من العصور الوسطى. لكن سخريته، على الرغم من مكرها في الصورة التي رسمها لمجتمعه، ومع ما تثيره من ضحك صريح، كانت بعيدة عن أي ضغينة أو خبث. ولم يكن ذلك الضحك والتهكم إلا تجسيداً لرغبته في إصلاح التربية في عصره، موالفاً بين العلم والحياة، وهي التربية التي سيتلقاها بانتاغرويل، وتمثل دعوة عصر النهضة في الشأن التربوي. مما جعل رابليه موضع شبهة بالنسبة للكاثوليك الذين اتهموه بالتعاطف مع الهوغنوت Huguenots البروتستانت، وهدفاً لاتهام البروتستانت له إذ رأوا أن توجهاته من شأنها أن تقود إلى أخلاقيات وثنية.

يرى شاتوبريان أن رابليه هو «مبدع الأدب الفرنسي». وتتجلى موهبة هذا الكاتب في القص بخاصة. فقد امتلك الكلمة الملهمة التي أضفت على ديباجة الاستهلال عنده قوة تجذب القارئ. كما أن سرده يتألف من مزيج يخلط التفاصيل العلمية مع الشعبية، تتناوب الواقعية فيه خيال منعتق، وتتجاور الخشونة مع الملاحظات الدقيقة الذكية والحساسة، بما يحقق جاذبية فريدة. يضاف إلى كل ذلك ابتداعه نماذج لشخصيات خالدة (بانورج، بيكروكولPicrochole ، والقاضي بريدوا (Bridoie ما زالت من معالم تراث الأدب الفرنسي.

تنكّر القرنان السابع عشر والثامن عشر لنتاج عصر النهضة، لكن الإقبال على قراءة رابليه لم يتوقف. وكان التذوق يومئذ متّجهاً إلى ذلك النَفَس الآتي من الأسلاف القدامى، القبائل الغالية Gauloise وهم الأجداد الأصليون للفرنسيين، غير أن النقد الحديث بات يفيه حقه.

وبعتبر رابليه خير من يُمثل الاتجاه الإنساني الواقعي في التربية. وكان التعليم الذي تلقاه صورة من المناهج التربوية التي كان عصره يدخرها للنابهين، وكانت دراسة رابليه شاملة للعلوم والآداب، واضافة لكونه طبيباً

عبر رابليه في كتاباته عن نفوره من التزهد وشظف العيش. وجعل من إثارة الضحك، عن طريق السخرية والتهكم، دواء للذين يعانون من الإحباط وخيبة الآمال

تنكّر القرنان السابع عشر والثامن عشر لنتاج عصر النهضة، لكن الإقبال على قراءة رابليه لم يتوقف. وكان التذوق يومئذ متّجهاً إلى ذلك النَفَس الآتي من الأسلاف القدامى، القبائل الغالية Gauloise وهم الأجداد الأصليون للفرنسيين، غير أن النقد الحديث بات يفيه حقه

وأديباً وفيلسوفاً ومنظّراً في التربية وفي علم النفس، وعارض الشكلية، ونادى بالطبيعية، ودخل في جدال مع سدنة جامعة السوربون واعتبرهم من قلاع الرجعية والتأخر. وفي تحفته التربوية "بانتا جرييل "Pantagruel (1532)، و "جارجنتوا (1534) "Gargantua سخر من أساتذة السوربون الذين ملأوا عقلية جارجنتوا بالترهات والأضاليل، ويقد بها النظريات والأفكار السائدة في العصور الوسطى. وفلسفته التربوية تقوم على تحرير المتعلم من هذا النوع العبثي من التعليم، وتركه على طبيعته يختار ما يناسبه من موضوعات الدراسة. وفي مدرسة تيليم الخيالية التي حكى عنها يجعل شعارها "افعل ما تشاء"، ولكن الحرية التي يقول بها كانت مع ذلك حرية مسؤولة. واليوم الدراسي لجارجنتوا كان يبدأ من الرابعة صباحاً، وكان يقبل على الدراسة بحب وعن رغبة، واشتملت الدراسة على موضوعات أدبية وأخرى علمية، تتخللها ساعات راحة واستجمام ولعب، ولم يكن المقرر من المواد متعارضاً مع رغبات جارجنتوا وبانتا جرييل، ولم يكن قيداً على اختياراتهما، ولم يكن منبت الصلة بالحياة والمجتمع...

يعتبر رابليه خير من يُمثل الاتجاه الإنساني الواقعي في التربية. وكان التعليم الذي تلقاه صورة من المناهج التربوية التي كان عصره يحذرها للنابهين

كما يعتبر رابليه أول معلم تربوي يقرن المنهج الأدبي الكلاسيكي بالمنهج العلمي الحديث، وأول من طالب باحترام رغبات الدارس، وتعويده على التفكير الحر، وعلى مناقشة السلطة سواء في البيت أو المدرسة أو الحكومة، وأول من جعل التربية البدنية قرينة التربية العقلية. وفي كتابه جارجنتوا يقول الأب لابنه ناصحاً: أريدك أن تتعلم اللغات على أحسن وجه، وأن تبدأ باليونانية، ثم اللاتينية، فالعبرية، لتكون بها قادراً على قراءة الكتب المدرسية والكتب المقدسة، ثم تدرس الكلدانية فالعربية، وحاول أن يكون أسلوبك في اليونانية أسلوب أفلاطون، وأسلوبك في اللاتينية أسلوب شيشرون، ولا تهتم كثيراً بالتاريخ لأنك سرعان ما تنساه، وادرس الجغرافيا الوصفية، وتابع دراسة الحساب والهندسة والموسيقى التي بدأت بها وأنت في الخامسة أو السادسة

من العمر، وتعلم الفلك واعرف عن التنجيم، واحفظ القانون عن ظهر قلب، وقارن بينه وبين الفلسفة، وأقبل على علوم الطبيعة، واعرف كل شيء عن البحار والأنهار، والأسماك والطيور، والأشجار والغابات والحدائق والزهور والأعشاب، وأنواع المعادن والأحجار الكريمة، وأحِط علماً بما قاله علماء العرب والرومان، واقرأ الكتب المقدسة، وباختصار أتمنى أن تكون بحراً من بحور العلم والمعرفة، فإذا بلغت مبلغ الرجال فتعلم الفروسية وفنون الحرب، وناقش أهل العلم لتعرف قدراتك وتعرف معلوماتك، وجالس العلماء واستمع إليهم لتتعلم منهم ..

من الواضح أن هذه المقررات التعليمية طموحة جداً، وهدفها تنشئة الإنسان الأمثل، ولا تصلح لجميع الناس، ولا يستطيعها إلا النابهون، ومع ذلك فقد كان هذا الاتجاه موجوداً ضمن الاتجاهات التربوية الإنسانية حيث غاية التربية هي الانسان الافضل.

كما يعتبر رابليه أول معلم تربوي يقرن المنهج الأدبي الكلاسيكي بالمنهج العلمي الحديث، وأول من طالب باحترام رغبات الدارس، وتعويده على التفكير الحر، وعلى مناقشة السلطة سواء في البيت أو المدرسة أو الحكومة، وأول من جعل التربية البدنية قرينة التربية العقلية

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه – فرنسا

Wolfgang Ratke فولفجانج راتكه

ابتكر طريقة جديدة لتدريس اللغات بسرعة. كان نظامه التعليمي قائمًا على فلسفة فرانسيس بيكون Francis Bacon ، والمبدأ هو الانتقال من الأشياء إلى الأسماء، ومن الخاص إلى العام، ومن اللغة الأم إلى اللغات الأجنبية

لقد دعا، قبل كل شيء، إلى استخدام اللغة العامية كوسيلة مناسبة للتعامل مع جميع الموضوعات، وطالب بإنشاء مدرسة عامية على أساس المدرسة اللاتينية

فولفجانج راتكه (1571– 1635) Wolfgang Ratke (المعروف أيضًا باسم فولفجانج راتيكيوس أو فولفجانج راتش) ألماني من دعاة الواقعية التربوية، بل إنه وجون أموس كومينيوس John Amos Comenius يعتبران أبرز ممثلي هذا الاتجاه.

ابتكر طريقة جديدة لتدريس اللغات بسرعة. كان نظامه التعليمي قائمًا على فلسفة فرانسيس بيكون Francis Bacon، والمبدأ هو الانتقال من الأشياء إلى الأسماء، ومن الخاص إلى العام، ومن اللغة الأم إلى اللغات الأجنبية. كانت فكرته الأساسية هي أن نظرية الاستدلال البيكونية تتبع الطبيعة، مما يعني أن هناك تسلسلًا طبيعيًا يتحرك به العقل في اكتساب المعرفة، من التفاصيل إلى العام. لقد دعا، قبل كل شيء، إلى استخدام اللغة العامية كوسيلة مناسبة للتعامل مع جميع الموضوعات، وطالب بإنشاء مدرسة عامية على أساس المدرسة اللاتينية .

حاول تجنيد أمير أورانج في قضيته، ولكن بعد فشله، ذهب إلى ألمانيا. في عام 1618 افتتح مدارس في Augsburg وأماكن أخرى. في Köthen ، زوده الأمير لودفيج فون أنهالت بالوسائل اللازمة لفتح مدرسة يتم إدارتها وفقًا لأفكاره الخاصة؛ ومع ذلك، أدت الصعوبات مع رجال الدين إلى سجنه لمدة ثمانية أشهر. بعد أن بدأ مدرسة أخرى في Magdeburgفي عام 1620، والتي فشلت، أصبح متجولًا. بالإضافة إلى أوغسبورغ وكوتن، وضع

طريقته في التدريس موضع التنفيذ في Amsterdam و Baselو Strasbourgو frankfurt و Weimar أماكن أخرى مختلفة.

كانت أفكاره متقدمة في عصره، لكنه كان يفتقر إلى القدرة التنفيذية، وكانت شخصيته تنفر كل من المساعدين والرعاة. وكان تأثيره على معاصريه وأجياله اللاحقة أعظم كثيراً مما قد يُفترض من فشل محاولاته لتطبيق خطته. وقد طغى على عمله عمل John Amos Comeniusالأكثر نجاحاً . وتوفي في Erfurtعام 1635

كان شديد الحماس لإصلاح النظام المدرسي، وظل يجوب مختلف المدن يحاضر فيما يراه ضرورياً، لم تكن أفكاره عملية ومقنعة بما فيه الكفاية، ولم تظاهره عليها إلا جامعتان، ومنحته إحدى المقاطعات مدرسة يُجري فيها تجاربه التعليمية، إلا أن الاضطرابات السياسية وضعف شخصيته الإدارية ساعدتا على إفشال مشروعه، بالإضافة إلى مغالاته الشديدة في قدراته، فمثلاً كان يعد بتعليم الأولاد عشر لغات في خمس سنوات، باعتبار لغة واحدة كل ستة شهور .

غير أن طريقة راتكه في التدريس تستحق أن نوليها الاهتمام الجديرة به، فكان يقول إن كل شيء يمكن إخضاعه للمنهج التجريبي الاستقرائي، وأننا بهذه الطريقة وحدها يمكن أن نستخلص المبادئ العامة لأي علم، وأن التعليم ينبغي أن يتوافق مع الطبيعة البشرية، وأن توضع خطة الدرس وفق القواعد السيكولوجية، وأنه لكي نبلغ إلى قلب وعقل التلميذ ينبغي أن نخاطبه باللغة القومية، ونشرح الدرس بهذه اللغة أولاً، فهي الأسهل والأسرع لتحقيق التعلم. وإذا أتقن التلميذ لغة بلده وأجادها وعرف كيف يعبر بها في أي موضوع علمي أو أدبي، عندئذ فقط بوسعنا أن نحاول تعليمه لغة أخرى. وينبغي أن نهتم بطريقة نطقه لهذه اللغة الأجنبية، وأن لا يقتصر تعليمنا له على إتقان كتابتها .

كانت أفكاره متقدمة في عصره، لكنه كان يفتقر إلى القدرة التنفيذية، وكانت شخصيته تنفر كل من المساعدين والرعاة. وكان تأثيره على معاصريه وأجياله اللاحقة أعظم كثيراً مما قد يُفترض من فشل محاولاته لتطبيق خطته

كان شديد الحماس لإصلاح النظام المدرسي، وظل يجوب مختلف المدن يحاضر فيما يراه ضرورياً، لم تكن أفكاره عملية ومقنعة بما فيه الكفاية، ولم تظاهره عليها إلا جامعتان، ومنحته إحدى المقاطعات مدرسة يُجري فيها تجاربه التعليمية

ويؤكد راتكه على ما نسميه اليوم التعليم المبرمج، فالتعليم ينبغي أن يقتصر على ناحية واحدة لا نبرحها إلا إذا أتقنها التلميذ وتمرس عليها عدداً من المرات، فإذا اختبرناه في ذلك وتأكد لنا إتقانه لها انتقلنا به إلى ناحية أخرى .

ويقول راتكه إن طريقة المدرس في التدريس لا بدّ أن تتماشى مع الدرس وتناسبه. ولا ينبغي أن يُقسر المدرس تلاميذه على واجبات يكرهون أداءها، ولا أن يلجأ إلى الضرب لأنه ضد منطق التعليم ومنافٍ للطبيعة البشرية، ويخلق العناد في التلميذ، وينفره من الدرس والمدرس والمدرسة .

وينبغي أن يتحبب المدرس للطالب، وأن تكون علاقته به علاقة احترام ومحبة، وتقع مسؤولية إقبال الطالب أو نفوره من الدرس على عاتق المدرس بالكامل. وينبغي أن يعلم التلميذ أن يطيعه، وأن يجلس في هدوء ويجيد الاستماع ويوليه انتباهه .

ولا ينبغي أبداً تعطيل الدرس أو إلغاءه لأي سبب من الأسباب. وأوجب راتكه التعليم على كل طفل، وأن يكون كل مواطن عارفاً على الأقل بالقراءة والكتابة .

وادخل مواداً لم تكن تدرس في المدرسة، ومن ذلك الإنشاء والرياضيات والكتابة والقراءة باللغة القومية، وقصر تعلم اللاتينية والإغريقية على المرحلة الثانوية .

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

كان يقول إن كل شيء يمكن إخضاعه للمنهج التجريبي الاستقرائي، وأننا بهذه الطريقة وحدها يمكن أن نستخلص المبادئ العامة لأي علم، وأن التعليم ينبغي أن يتوافق مع الطبيعة البشرية، وأن توضع خطة الدرس وفق القواعد السيكولوجية

لكي نبلغ إلى قلب وعقل التلميذ ينبغي أن نخاطبه باللغة القومية، ونشرح الدرس بهذه اللغة أولاً، فهي الأسهل والأسرع لتحقيق التعلم

ينبغي أن يتحبب المدرس للطالب، وأن تكون علاقته به علاقة احترام ومحبة، وتقع مسؤولية إقبال الطالب أو نفوره من الدرس على عاتق المدرس بالكامل

محمد بن يحيى بن زكريا الرازي Al Rhazes

محمد بن يحيى بن زكريا الرازي (925 – 865) عالما موسوعيا برز في العديد من فروع العلوم؛ وكتب في الطب والفلسفة والكيمياء والرياضيات والأخلاق والموسيقى وغيرها.

وصفته سيغريد هونكه Sigrid Hunke في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبة "بالالمانية: Allahs Sonne über dem Abendland: unser arabisches Erbe " أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق..

قيل: (كان الطب معدوماً فأوجده أبقراط وكان ميتاً فأحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي وكان ناقصاً فأكمله ابن سينا)، ولقب بعدة ألقاب منها جالينوس العرب، وأبو الطب العربي، وحجّة الطب في العالم.

ولد الرازي عام 865 م في مدينة الري في إيران وتوفي عام 925م ، اشتهر منذ صغره بحبه للعلم والعلماء عرف بذكائه الشديد وذاكرته القوية، سافر إلى بغداد ودرس فيها العديد من العلوم منها الشرعية والطبية والفلسفية لكنه ركز اهتمامه على الطب وتتلمذ على يد علي بن زين الطبري صاحب أول موسوعة طبية علمية، وبعد إتمام دراسته الطبية في بغداد عاد إلى مدينة الري بناءً على دعوة حاكمها منصور بن اسحاق ليتولى إدارة مستشفى الري وألفّ له كتاب "المنصوري في الطب" ثم " الطب الروحي" وكلاهما متمم للأخر حيث يختص الأول بأمراض الجسم والثاني بأمراض النفس وجعل

محمد بن يحيى بن زكريا الرازي (925 – 865) عالما موسوعيا برز في العديد من فروع العلوم؛ وكتب في الطب والفلسفة والكيمياء والرياضيات والأخلاق والموسيقى وغيرها

قيل: (كان الطب معدوماً فأوجده أبقراط وكان ميتاً فأحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي وكان ناقصاً فأكمله ابن سينا)، ولقب بعدة ألقاب منها جالينوس العرب، وأبو الطب العربي، وحجّة الطب في العالم

الرازي من الطب رسالة إنسانية ومن الفلسفة وسيلة لتطوير المجتمع.

عاد بعد ذلك إلى بغداد ليتولى رئاسة البيمارستان الذي أنشأه الخليفة المعتضد بالله وهناك قصة شهيرة تدل على ذكاء الرازي وعلمه وهي عندما أمر الخليفة ببناء المشفى قام الرازي بوضع قطع من اللحم على أعمدة خشبية ونشرها في عدة أماكن من بغداد وفي المكان الذي فسدت فيه أخر قطعة لحم تم بناء المشفى.

يقال أنه تعلم الطب بعد أن أصبح كبيراً في العمر إلا أن هذا الخطأ شائع بين المؤرخين فهنالك مخطوطة بمكتبة بودلي Bodleian Library في جامعة أكسفورد عنوانها " تجارب مما كتبه محمد بن زكريا ببغداد في حداثته" حيث يتضمن حديثاً عن أن الرازي تعلم الطب في بغداد عندما كان حديث العهد، بالإضافة إلى بعض المواضيع المقتبسة من كتب الرازي التي ألفها بعد أن توسعت معرفته.

كان الطبيب في عصر الرازي فيلسوفاً وكانت الفلسفة ميزاناً توزن به الأمور والنظريات العلمية التي سجلها الأطباء في المخطوطات القديمة عبر السنين حيث كان الرازي مؤمناً بفلسفة سقراط الحكيم ومدافعاً عن مسيرته الفلسفية، فيقول أن الفارق بينهما في الكم وليس في الكيف وكما كان مؤمناً باستمرار التقدم في البحوث الطبية.

يُعدّ الرازي من أشهر الأطباء في عصره، له العديد من المؤلفات المهمة في علوم الطب، والتي ساهمت في تغيير الكثير من المفاهيم الطبية، ومعالجة العديد من الأمراض التي لم يكن علاجها معروفاً، أو لم يتم التمكن من تشخصيها تشخيصاً دقيقاً، فدرسَ الطب اليوناني، والهندي، وتمكن من استخلاص الفوائد الطبية الموجودة فيهما، ومن ثم عمل العديد من الدراسات الطبية حول علم الأمراض، ومسببات كل مرض، وحافظ على الأمانة في علوم الطب، فلم يُنسب لنفسه أي شيء لم يكتشفه بنفسه.

ولد الرازي عام 865 م في مدينة الري في إيران وتوفي عام 925م ، اشتهر منذ صغره بحبه للعلم والعلماء عرف بذكائه الشديد وذاكرته القوية، سافر إلى بغداد ودرس فيها العديد من العلوم منها الشرعية والطبية والفلسفية لكنه ركز اهتمامه على الطب وتتلمذ على يد علي بن زين الطبري صاحب أول موسوعة طبية علمية

عندما أمر الخليفة ببناء المشفى قام الرازي بوضع قطع من اللحم على أعمدة خشبية ونشرها في عدة أماكن من بغداد وفي المكان الذي فسدت فيه أخر قطعة لحم تم بناء المشفى.

ومن أهم إنجازات الرازي في الطب: ابتكار الخيوط الطبية المستخدمة في العمليات الجراحية. وأول طبيب ابتكر المراهم كعلاج دوائي. وكتب العديد من الشروحات حول الأمراض.

واهتم بإجراء التجارب الدوائية، حتى يتأكد من مدى توافقها مع الإنسان. وحرص على متابعة الحالة المرضية للمرضى، قبل علاجهم. ويعد من الأطباء الذين اهتموا بدراسة طب الأعشاب، واستخدامه كوسيلة علاجية، بدلاً من الأدوية الكيميائية.

وتُعتبر الكيمياء من العلوم التي اهتم الرازي بدراستها بشكل مكثف، إذ خصص الكثير من الوقت لدراسة الكيمياء، وظهر اهتمامه في هذا العلم، عن طريق التجارب العلمية التي أجراها، و مدى نجاحها، مما ساعده على استنتاج العديد من القوانين الكيميائية، وتدوين كافة تجاربه، واكتشافاته، والتي ساهمت فيما بعد بمساعدته في اختراع العديد من الأدوية الطبيّة.

الرازي تعلم الطب في بغداد عندما كان حديث العهد، بالإضافة إلى بعض المواضيع المقتبسة من كتب الرازي التي ألفها بعد أن توسعت معرفته.

كان الطبيب في عصر الرازي فيلسوفاً وكانت الفلسفة ميزاناً توزن به الأمور والنظريات العلمية التي سجلها الأطباء في المخطوطات القديمة عبر السنين حيث كان الرازي مؤمناً بفلسفة سقراط الحكيم ومدافعاً عن مسيرته الفلسفية

أهم إنجازاته:

في مجال الطب:

• أول من فرّق بين النزف الشرياني والنزف الوريدي حيث استخدم الربط ليوقف النزف الشرياني والضغط على الأصابع ليوقف النزف الوريدي وهو ما زال يستخدم حتى الآن.

• أول من فرّق بين السكتة الدماغية والغيبوبة.

• أول من فرّق بين القولون الكلوي والتهاب الزائدة الدودية.

• أول من فرّق بين الجدري والحصبة و قدّم وصف دقيق للمرضين وحدد أعراض كل منهما.

• أول من ذكر أن حدقة العين تتسع في الظلام وتضيق في الضوء.

• أول من استعمل الأفيون كمنوم في العمليات التي تحتاج إلى التخدير، وأدخل طريقة التبخير والاستنشاق في المعالجة.

• وصف الفرع الحنجري للعصب الحنجري الراجع وقال إنه مزدوج في الجهة اليمنى أحياناً.

• قام بتطوير الغرز الجراحية.

• صنع مرهم زئبقي.

• إدخل المركبات الكيمائية في الطب.

• جرب الزئبق وأملاحه على القرود لدراسة تأثيرها على أجسامهم ليعتبر بذلك أحد رواد البحث التجريبي في مجال الطب حيث جريب الأدوية على الحيوانات.

• أرجع بعض الأمراض إلى عوامل وراثية.

• اخترع الفتيلة المستخدمة عند إجراء العمليات الجراحية وأبدى اهتماماً بعملية تشريح جسم الإنسان.

• أسس علم الإسعافات الأولية التي تقدم في حالات الحوادث.

• أدخل الملينات في علم الصيدلة.

• برع في طب وجراحة العيون سواء في الجراحة أو الفيزيولوجيا وصنف أمراض القرنية بغير ما ذكره حنين بن إسحاق ووضح آلية الإبصار في العين.

• أول من فصل طب الأطفال عن الطب العام وعالج الأمراض بنظام التغذية وحده.

• ابتكر خيوط الجراحة المصنوعة من الأنسجة الحيوانية.

• أول من استخدم جبيرة الجبس في علاج كسور العظام.

في الفيزياء:

عمل الرازي بتعيين الكثافات النوعية للسوائل وصنف لقياسها ميزاناً خاصاً أطلق عليه الميزان الطبيعي.

في الكيمياء:

قسم المواد المعروفة في عصره إلى أربعة أقسام وهي:

 المواد المعدنية.

يُعدّ الرازي من أشهر الأطباء في عصره، له العديد من المؤلفات المهمة في علوم الطب، والتي ساهمت في تغيير الكثير من المفاهيم الطبية، ومعالجة العديد من الأمراض التي لم يكن علاجها معروفاً، أو لم يتم التمكن من تشخيصها تشخيصاً دقيقاً

من أهم إنجازات الرازي في الطب: ابتكار الخيوط الطبية المستخدمة في العمليات الجراحية. وأول طبيب ابتكر المراهم كعلاج دوائي. وكتب العديد من الشروحات حول الأمراض

- المواد النباتية.
- المواد الحيوانية.
- المواد المشتقة.

وقسم المعادن إلى أنواع حسب طبائعها وصفاتها وحضّر بعض الحوامض ومازالت الطرق التي اتبعها في التحضير مستخدمة إلى الآن وهو أول من ذكر حامض الكبريتيك الذي أطلق عليه اسم زيت الزاج أو الزاج الأخضر، كما حضر في مختبره بعض الحوامض الأخرى واستخلص الكحول بتقطير مواد نشوية وسكرية مختمرة.

اكتشف بعض العمليات الكيمائية ذات العلاقة بالفصل والتنقية والترشيح والتقطير.

مؤلفاته وكتبه:

له أكثر من 200 مؤلف شملت الطب والفلسفة والرياضيات وعلم الفلك والكيمياء نذكر منها:

- كتاب المنصوري.
- كتاب الطب الروحي.
- كتاب الشكوك على جالينوس.
- كتاب طبقات الإبصار.
- كناب أخلاق الطبيب.
- كتاب في الفصد والحجامة.
- كتاب المدخل إلى المنطق.
- كتاب إن للعبد خلقاً.
- السيرة الفلسفية.
- مقالة في اللذة.

خصص الكثير من الوقت لدراسة الكيمياء، وظهر اهتمامه في هذا العلم، عن طريق التجارب العلمية التي أجراها، و مدى نجاحها، مما ساعده على استنتاج العديد من القوانين الكيميائية

أول من فرّق بين النزف الشرياني والنزف الوريدي حيث استخدم الربط ليوقف النزف الشرياني والضغط على الأصابع ليوقف النزف الوريدي وهو ما زال يستخدم حتى الآن

أول من استعمل الأفيون كمنوم في العمليات التي تحتاج إلى التخدير، وأدخل طريقة التبخير والاستنشاق في المعالجة

برع في طب وجراحة العيون سواء في الجراحة أو الفيزيولوجيا وصنف أمراض القرنية بغير ما ذكره حنين بن إسحاق ووضع آلية الإبصار في العين.

قسم المواد المعروفة في عصره إلى أربعة أقسام وهي:
المواد المعدنية.
المواد النباتية.
المواد الحيوانية.
المواد المشتقة

له أكثر من 200 مؤلف شملت الطب والفلسفة والرياضيات وعلم الفلك والكيمياء نذكر منها:
• كتاب المنصوري.
• كتاب الطب الروحي

كتاب الحاوي في الطب الذي يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق وظل المرجع الطبي الرئيسي في أوروبا لمدة 400 عام.

• كتاب الكيمياء وأنها إلى الصحة أقرب.
• كتاب هيئة العالم.
• كتاب الأسرار في الكيمياء.
• كتاب الجدري والحصبة وتمت ترجمتها إلى عدة لغات منها اللاتينية واليونانية.
• أطروحة عن المغص والحصى في الكلى والمثانة وعن علاج بعض الأمراض الأخرى مثل الصداع وآلام الأسنان والبواسير والزحار عند الأطفال الصغار وأمراض أمراض الأطفال ومرض السكري.
• كتاب الجامع الكبير.
• كتاب الحاوي في الطب الذي يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق وظل المرجع الطبي الرئيسي في أوروبا لمدة 400 عام.

كانت شهرة الراوي نقمة عليه؛ فأثارت عليه غيرة حساده، وسخط أعدائه، فاتهموه في دينه، ورموه بالكفر ووصفوه بالزندقة، ونسبوا إليه آراء وافتراءات ظالمة، وللرازي نفسه من المصنفات ما يفند تلك الدعاوى، ومن كتبه في ذلك كتاب في أن للعالم خالقا حكيما، وكتاب أن للإنسان خالقا متقنا حكيما، وغيرهما من المؤلفات.

شارك في المراجعة:

– د. هبة الكردي – المانيا

Otto Rank أوتو رانك

أوتو رانك (1884– 1939 Otto Rank) عالم نفس نمساوي يهودي وُلد في فيينا لعائلة يهودية متوسطة الحال، اسمه الأصلي أوتو روزنفلد (Otto Rosenfeld)اكتشف أدلر Alfred Adler عبقريته وقدمه لفرويد عام 1905 كان رانك في سن الـ21 ، قدم رانك دراسة أثارت إعجاب فرويد لدرجة أنه دعاه فورا ليصبح أمينًا لجمعية فيينا للتحليل النفسي الناشئة. هكذا، أصبح رانك أول عضو مأجور في حركة التحليل النفسي، و«المساعد الرئيسي» لفرويد لمدة 20 عامًا. اعتبر فرويد أن رانك، الذي كان أكثر قربًا منه من أبنائه من الناحية الفكرية، أكثر تلاميذه في فيينا ذكاء..

أصبح رانك برعاية فرويد ، وغدا بمنزلة ربيبه، وتعهده وقامت بينهما علاقة أبوية قدّر لها أن تستمر عقدين من الزمن، استخدمه فيها فرويد كسكرتير خاص له، وعينه مساعد رئيس تحرير "إيماجو" للتحليل النفسي، والمجلة الدولية للتحليل النفسي Internationale Zeitschrift für Psychoanalyse.

وتولى رانك كل مهام الحركة فعلاً، وكان مرشحاً ليخلف فرويد في كل شيء، وأشرف على دار المطبوعات الدولية التابعة للحركة، وأقامها من العدم بعد الحرب العالمية الأولى، ونظم شؤونها.. وبرز اسمه كاتبًا غزير الكتابة في موضوعات التحليل النفسي، ومحررًا في اثنتين من أهم المجلات التحليلية، وباحثًا نظريًا ومعالجًا نفسيًا مبدعًا.

أوتو رانك (1884–1939 Otto Rank) عالم نفس نمساوي يهودي وُلد في فيينا لعائلة يهودية متوسطة الحال، اسمه الأصلي أوتوروزنفلد(Otto Rosenfeld)

قدم رانك دراسة أثارت إعجاب فرويد لدرجة أنه دعاه فورا ليصبح أمينًا لجمعية فيينا للتحليل النفسي الناشئة

وأصبح من "الحرس الامبراطوري Praetorian guard" لحركة التحليل النفسي، وهم خمسة: فيرينزي Ferenczi Sándor ، وجونز Ernest Jones، وساكسHanns Sachs ، وأبراهامKarl Abraham ، وإيتنغتون Max Eitingon، اضافة الى رانك، ويرأسهم فرويد، وبذلك يكتمل عددهم سبعة، وكان عملهم رعاية الحركة ضد الانشقاقيين، والدفاع عن مقوماتها ومقولاتها، والحرص على التراث الفرويدي وتنميته، وإذاعة مفاهيم التحليل النفسي في العالم .

وحصل رانك على درجة الدكتوراه جامعة فيينا عام 1912. نشرت أطروحته، حول ملحمة لوهينجرين، وهي أول أطروحة دكتوراه فرويدية تُنشر بشكل كتاب.

بعد نحو عشرون عاما فجأة نشر كتابه "صدمة الميلاد Trauma of Birth" (1924)فكان صدمة للجميع، لأنه كان بكل المقاييس ضد كل المفاهيم التي دعا إليها فرويد والتي تقوم على الدعوة لها حركة التحليل النفسي .

ورغم أن فرويد اعتبر الكتاب "أهم تقدم منذ اكتشاف التحليل النفسي" إلا أنه بدأ يتفهم نظرية رانك وتتحصل له المعرفة بأنه يناهضه بها، ومن ثم بدأت المباعدة بينهما، وانتقل رانك إلى باريس ليترك في فيينا كل ما يُذكره بأستاذه وجماعته (1924)، ثم غادرها بعد ذلك إلى الولايات المتحدة، وبذلك انقطعت تماماً كل علاقات رانك بالحركة وفرويد (1934 .)

بقال أنه كان موسوعياً في معلوماته. وبارك فرويد هذا الاتجاه فيه، إلا أن كتاب "صدمة الميلاد" ما كان من الممكن أن يتهاون فرويد إزاءه، لأنه مسار جديد تماماً على فكر التحليل النفسي، وهو وإن كان متفقاً مع الخط الفكري لرانك، إلا أن فرويد كان ينبغي أن يحذره فيه من أول الأمر وقد لمس فيه هذا النزوع للتجديد.

أصبح رانك أول عضو مأجور في حركة التحليل النفسي، و«المساعد الرئيسي» لفرويد لمدة 20 عامًا. اعتبر فرويد أن رانك، الذي كان أكثر قربًا منه من أبنائه من الناحية الفكرية، أكثر تلاميذه في فيينا ذكاء..

برز اسمه كاتبًا نحرير الكتابة في موضوعات التحليل النفسي، ومحررًا في اثنتين من أهم المجلات التحليلية، وباحثًا نظريًا ومعالجًا نفسيًا مبدعًا

حصل رانك على درجة الدكتوراه جامعة فيينا عام 1912. نشرت أطروحته، حول ملحمة لوهينجرين، وهي أول أطروحة دكتوراه فرويدية تُنشر بشكل كتاب

يُعتقد أن إسهام رانك في التحليل النفسي هو نظريته في صدمة الميلاد، إلا أن كتابات رانك في الفن، وتحليله لدور الفنان ودخائله، كانت بكل المقاييس رائعة .

وكان رانك فناناً، وكتاباته في التحليل النفسي كانت من منظور فني، وفي بدايته هوي المسرح، ثم الفنون الأخرى، وقرأ نيتشه Friedrich Nietzsche كثيراً وشوبنهاور Arthur Schopenhauer ، ومعظم ما كتبه كانت توجهات فنية أدبية. وكان مؤلفه الأول هو كتاب "الفنان(1907) "Der Künstler ، وأتبعه بسلسلة من كتب التحليل النفسي في الأسطورة والأدب، وكانت تفسيراته فيها جديدة، ومنها كتابه "أسطورة ميلاد البطل The Myth of the Birth de The Hero" (1909)، و "إلحاح فكرة زنا المحارم في الشعور والأسطورة..(1912) Das Inzest Motiv in Dichtung und Sage"

وكان رانك فيها بمثابة المجدد للفكر التحليلي النفسي، اذ كانت الكتابات التحليلية حتى الآن طبية الطابع والموضوع فقط، وكان رانك بمثابة الدم الجديد للحركة، واتجه نحو الإنسانيات، وساعده على الكتابة فيها..

وفكرة رانك في الكتاب أن القلق جميعه، ومن ثم العصاب والاستعداد للإصابة به، إنما يتسبب فيهما الخوف والهلع الفطري الذي لا نجاة منه، والذي يتعرض له المرء لحظة ولادته، نتيجة الخروج إلى الحياة الجديدة تماماً بعد تسعة أشهر في رحم الأم. وهو خوف وهلع يتنامى ويصبح خوفاً أصلياً مغروساً في النفس ويلازم الإنسان طوال عمره. وهذه التجربة العالمية التي نمر بها جميعاً هي بكل المقاييس تجربة صادمة بطريقة أو بأخرى، وهي الأساس البيولوجي لكل ما هو نفسي من بعد.

وكل الظواهر الثقافية يمكن تفسيرها إما كتعبير مباشر لهذه الصدمة، أو باعتباره محاولات من الحهاد للتغلب على القلق المترتب عليها، والذي يتفجر فيها منذ الميلاد، ومن ثم فهو قلق من النوع الأول، أو هو أصل كل قلق لاحق .

بعد نحو عشرون عاما فجأة نشر كتابه "صدمة الميلاد Trauma of (Birth" (1924 فكان صدمة للجميع، لأنه كان بكل المقاييس ضد كل المفاهيم التي دعا إليها فرويد والتي تقوم على الدعوة لها حركة التحليل النفسي

يُعتقد أن إسهام رانك في التحليل النفسي هو نظريته في صدمة الميلاد، إلا أن كتابات رانك في الفن، وتحليله لدور الفنان ودخائله، كانت بكل المقاييس رائعة.

ويلاحظ أن رانك إذا كتب فيما يخص التحليل النفسي فإنه كان يلتزم أفكار فرويد إلا قليلاً، ويبدو أن هذا الالتزام كان بسبب اشتراك آخرين من الحركة معه في التأليف، وهو ما نلمسه جلياً في كتابه بالاشتراك مع ساكس Sachs "أهمية التحليل النفسي للعلوم العقلية The Significance of Psychoanalysis for The Mental Sciences" (1913)، وفي كتابه بالاشتراك مع فيرينزي Ferenczi "تطور التحليل النفسي The Development of Psychoanalysis" (1922)..

إلا أنه بعد ذلك، وبمفرده، بدأ يتحول ويكون له خطه الفكري المخالف أو المعارض، أو أنه تحول فعلاً. وفي نحو ذلك الوقت كتب أيضاً "تقنية التحليل النفسي(1926/ 1931)"The Technique of Psychoanalysis ، و "الموجز في علم النفس التكويني Outlines of a Genetic Psychology" (1927/ 1929).

وأكد فيما كتب على أولية صدمة الميلاد، وأن العصاب لا يمكن الشفاء منه بمعالجة المريض بمحاولة إعادة بناء ماضيه، أو استعادة أسباب المرض وإعادة طرحها على المريض ليتبصرها، وقال إنه على العكس يرى أن يركز المريض على صدمة الميلاد، ويعيشها انفعالياً، بأن يسقط على المحلل دور الأم، ويعايشه أثناء العلاج كمعايشة الابن لأمه، فإذا تمّ له العلاج بعد فترة وكان عليه أن يغادره، كانت مغادرته له بمثابة الميلاد النفسي له، وكان لها وقع صدمة الميلاد الأولى التي سبق أن عاناها واستقرت آثارها في وجدانه، وإنما هذه الصدمة أخف. ومثلما في الحمل، فإن فترة العلاج للمريض لا بدّ أن تكون لها مدة محددة، ومدتها ليست مفتوحة كما في طريقة فرويد، وكان رانك يعتقد أن فترة العلاج لو طالت فشأنها شأن الحمل الذي يطول عن مدته المفطور بها، تضر ولا تنفع .

أن القلق جميعه، ومن ثم العصاب والاستعداد للإصابة به، إنما يتسبب فيهما الخوف والهلع الفطري الذي لا نجاة منه، والذي يتعرض له المرء لحظة ولادته، نتيجة الخروج إلى الحياة الجديدة تماماً بعد تسعة أشهر في رحم الأم

يلاحظ أن رانك إذا كتب فيما يخص التحليل النفسي فإنه كان يلتزم أفكار فرويد إلا قليلاً، ويبدو أن هذا الالتزام كان بسبب اشتراك آخرين من الحركة معه في التأليف

ومن المفاهيم التي شملها التغيير الذي استحدثه رانك مفهوم الأنا، ولقد بدأ ذلك سنة 1928، وهو مفهوم سلبي في النسق الفرويدي، وأعطاه رانك اسم الإرادةWill ، وذكر أن الإرادة في الحياة العملية واقع سيكولوجي أولي، وتنظيم إيجابي تستهدي به الذات، ويمسك عليها تكاملها، وينوب عنها في السيطرة على الدوافع الغريزية وكفّها واستثمارها إبداعياً .

وقال إن الإرادة البشرية وليس البيئة الخارجية، الطبيعية أو الثقافية، هي العلة الحقيقية فيما يجري داخل الشخصية من مستحدثات، وفيما تؤول إليه الظواهر الاجتماعية الثقافية .

ولم يعتبر رانك الصراع بين الدواعي الثقافية التي من شأنها القمع أو الكبت وبين الغرائز من المسائل الجوهرية مثلما يذهب إلى ذلك فرويد. وقال إن الإرادة من ذاتها وليس بوازع من الثقافة هي التي يمكنها أن تقف في مواجهة الدوافع الغريزية، بل ويمكنها أن تلغيها تماماً وليس مجرد أن تعمل على كفّها أو كبتها، فلا يكون لها من ثمة عمل في الحقيقة. والصراع الحقيقي عند رانك هو الذي يتسبب بشكل حاسم في الإصابة بالعصاب، ويتفجر عندما تفشل الإرادة من خلال الإحساس الزائد بالذنب .

والشخصية السوية عند رانك هي التي تعبر عن إرادتها في تساوق وتناسق مع إرادة الجماعة،، بينما النمط الخلاق من أنماط الشخصية– وهذا النمط لا يكون إلا للفنانين في رأي رانك– يمارس إرادته مستقلاً عن إرادة الجماعة، أو أنه يمارسها معارضاً لإرادة الجماعة. وأما النمط العصابي الذي يقول عنه رانك إنه فنان فاشلFailed artist ، فإنه لا يمارس إرادته البتة، وجهاز الإدارة عنده معطل، أو أنه لا يعمل بكفاءة .

وعمل الإرادة فيما تعبر به عن نفسها، وبأي شكل كان، هو في جوهره من الأمور النفسية، وينبغي احترامه حتى لو كانت الشخصية عصابية. وفي العلاج النفسي بطريقة رانك يتوجب على المعالج لهذا السبب أن يساعد

أنه تحول فعلاً. وفي نحو ذلك الوقت كتب أيضاً "تقنية التحليل النفسي The Technique of Psychoanalysis" (1926/ 1931)، و "الموجز في علم النفس التكويني

يرى أن يركز المريض على صدمة الميلاد، ويعيشها انفعالياً، بأن يسقط على المحلل دور الأم، ويعايشه أثناء العلاج كمعايشة الابن لأمه

فترة العلاج للمريض لا بدّ أن تكون لها مدة محددة، ومدتها ليست مفتوحة كما في طريقة فرويد، وكان رانك يعتقد أن فترة العلاج لو طالت فشأنها شأن الحمل الذي يطول عن مدته المفطور بها، تضر ولا تنفع

المريض على تقوية إرادته أو ملكاته الإبداعية. ويتمثل ذلك في آخر مراحل العلاج، وهي المرحلة التي يكون فيها على المريض أن يترك المعالج، ونجاح العلاج نهائياً مرهون بنجاح إتمام هذا "الانفصال النفسي". وكان رانك قد أطلق على هذه العملية من قبل اسم الولادة الجديدة .

وفي كتابيه "تقنية التحليل النفسي" و "الموجز في علم النفس التكويني" اللذين سبق التنويه بهما تخلى رانك تماماً عن كل الأفكار التي تدور حول الحتمية البيولوجية والتي قال بها فرويد وقال بحتميات نفسية، ذكر أن الإنسان مفطور عليها، وأنها موجودة فيه على هيئة ثنائيات متعارضة ومتصارعة، ومن ذلك الخوف من الحياة Life– fear ويقابله الخوف من الموت Death– fear ، والأنوثة فيه وتقابلها الذكورة، والكلية بالنسبة للذات، وتقابلها التجزئة، والفردية وتعارضها الجماعية، وهكذا .

ويبدو أن ما ذهب إليه رانك لم يكن فيه أصيلاً، اذ كان كل ما استحدثه في أكثره أو في أجزاء منه مأخوذاً من نيتشه Friedrich Nietzsche وشوبنهاور Arthur Schopenhauer وكيركجارد Søren Kierkegaard. والجزء الأخير بالذات نجده بشكل مستفيض عند كيركجارد Schopenhauer بالذات، فرغم أن رانك يصف الإرادة بأنها قوة عاقلة، إلا أنه جعل صدورها عن طاقة إيمانية هي الأساس فيها، وهي نفسية كما نرى، وأطلق عليها رانك اسم الروح Soul ، ويعرفها بأنها الاعتقاد في الخلود أو إرادة الخلود. وفي كتابه "علم النفس والروح Psychology and the Soul"(1930) يتداخل مفهوما الإرادة والروح حتى ليمكن أن يقال إنهما واحد عنده .

ويرى البعض أن رائعة رانك هي كتابه "الفن والفنان Art and Artist" (1932)، وفكرته فيه أن الفن مثله مثل الدين، هو تعبير عن إرادة الإنسان للخلود، إلا أنه في الفن فإن الفنان يريد خلوده هو نفسه، وفكرته عن الخلود

وذكر أن الإرادة في الحياة العملية واقع سيكولوجي أولي، وتنظيم إيجابي تستهدي به الذات، ويمسك عليها تكاملها، وينوب عنها في السيطرة على الدوافع الغريزية وكفّها واستثمارها إبداعياً

قال إن الإرادة البشرية وليس البيئة الخارجية، الطبيعية أو الثقافية، هي العلة الحقيقية فيما يجري داخل الشخصية من مستحدثات، وفيما تؤول إليه الظواهر الاجتماعية الثقافية

الشخصية السوية عند رانك هي التي تعبر عن إرادتها في تساوق وتناسق مع إرادة الجماعة

فكرة نرجسية تميز المرحلة قبل الدينية وقبل ظهور المجتمعات. أما في الدين فإن الإنسان كان عليه أن يتخلى عن نمط الوعي النرجسي عنده ويخلي السبيل لنمط الوعي الجماعي، وبهذه الطريقة وحدها تحقق قيام بعض المجتمعات. ورغم هذا التخلي فإن بعض الناس من فئة الفنانين لم يفرطوا في نرجسيتهم، ولم يخضعوا لمتطلبات التطور الاجتماعي، وقاوموا العبودية للمجتمع، وظلوا على تحررهم الروحي، وبهم يدوم الفن، وهؤلاء هم الذين خلقوا روائع الأعمال الفنية ويسميهم رانك أبطال الفن، ويصف حياتهم بأن فيها من الثنائية المتناقضة التي ذكرناها له من قبل، فهم يعيشون نفسياً حياة خصبة مليئة ريانة بما يخلقون ويبدعون، ولكن ذلك يكلفهم الصراع مع المجتمع الذي لا يريد منهم الخروج على أنماطه الاجتماعية، ومع الإيديولوجيات السائدة. والصراع يتبعه شعورهم بالذنب، وهذا الشعور نفسه هو الذي يفجر فيهم القلق ويعذبهم به، والنتيجة أنهم ينتهون نهاية مأساوية حقيقية .

ويذهب رانك إلى نظرية في تفسير التاريخ تفسيراً نفسياً، ويقول إن "التاريخ النفسي Psycho– history" للبشرية ينقسم إلى مراحل أو حقب، ففي البدء كانت الحقبة النرجسيةNarcissistic era ، وفيها كان الاعتقاد أن الإنسان عبارة عن اثنين، وأن الموت يقضي على أحدهما ولكنه لا يقضي على الآخر، وذلك ما نسميه روح الميت .

ثم تأتي الحقبة الثانية والتي فيها يقر الإنسان بأنه مثلما له روح فإن لغيره روحاً كذلك، وأن العالم الذي يضم هذه الأرواح كلها هو عالم آخر. ويسمي رانك هذه الحقبة بالحقبة الأرواحية .Animistic era والحقبة الثالثة هي الحقبة الجنسية Sexual era التي أدرك فيها الإنسان أهمية أن تكون له ذرية، وأن دوام ذكره يكون من خلال هذه الذرية، وفيهم جسداً وروحاً يتمثل خلوده، فهو باق بهم طالما هم يتزاوجون ويتناسلون ويتكاثرون .

في كتابيه "تقنية التحليل النفسي" و "الموجز في علم النفس التكويني" اللذين سبق التنويه بهما تخلى رانك تماماً عن كل الأفكار التي تدور حول الحتمية البيولوجية والتي قال بها فرويد وقال بحتميات نفسية، ذكر أن الإنسان مفطور عليها

يرى البعض أن رائعة رانك هي كتابه "الفن والفنان Art and Artist" (1932)، وفكرته فيه أن الفن مثله مثل الدين، هو تعبير عن إرادة الإنسان للخلود، إلا أنه في الفن فإن الفنان يريد خلوده هو نفسه

أما في الدين فإن الإنسان كان عليه أن يتخلى عن نمط الوعي النرجسي عنده ويخلي السبيل لنمط الوعي الجماعي، وبهذه الطريقة وحدها تحقق قيام بعض المجتمعات

يذهب رانك إلى نظرية في تفسير التاريخ تفسيراً نفسياً، ويقول إن "التاريخ النفسي Psycho-history" للبشرية ينقسم إلى مراحل أو حقب، ففي البدء كانت الحقبة النرجسية Narcissisticera

ثم تأتي الحقبة الثانية والتي فيها يقر الإنسان بأنه مثلما له روح فإن لغيره روحاً كذلك، وأن العالم الذي يضم هذه الأرواح كلها هو عالم آخر.

ثم جاءت على الإنسانية الحقبة الأمومية Matriachal era وهي التي أدركت فيها الإناث أهميتهن للعملية التناسلية. وينسب فيها الأولاد للأم، فطالما أن الذكور يمكن أن يواصلوهن أنّى شاؤوا فالأنساب مجهولة الأب، والنسب الظاهر والوحيد في ظهوره هو النسب للأم. ثم تطور الحال مع تطور سلطة الذكور وامتلاكهم للإناث ولكل شيء، ومن ذلك الأولاد، فصاروا يُنسَبون للآباء، وتطور الاعتقاد أن الخلود للأب أو حتى للأم هو من خلال إنجاب الولد الذَكر الذي يحمل اسم أبيه ويواصل عمله ويكون له الذِكر الدائم به .

وفي هذه الحقبة كما يقول رانك كان ظهور اليهودية كديانة. وقال مثل فرويد إنها ديانة آباء، وحتى الآن يقال عن أنبياء إسرائيل إنهم الآباء الأول. إلا أنه مع التطور أيضاً والديمقراطية، ذادت أهمية الأبناء، وظهرت ديانة متساوقة مع هذا التطور، وهي المسيحية، ويسميها رانك ديانة الابن، والحقبة الحالية يتمثل فيها سيطرة إخوة الأبناء، وهي الحقبة الديمقراطية التي نعيشها .

إلا أن هناك تطوراً آخر يبشر بحقبة جديدة يسميها رانك الحقبة السيكولوجية The Psychological era وفيها تنمحى الديانات بالتدريج وينتهي الإيمان بما تقول به، ويكون الاعتقاد فقط بالمستحدثات في علم النفس وما يمكن أن يقوم عليها من مستجدات في القانون والطب والتعليم والفن والصناعة والإدارة والتجارة، وكل منحى من مناحي الحياة .

وفي هذه الحقبة تكون لعلم النفس إيديولوجية، أو أنه يصبح ديانة ويطبع السلوك عامة، ولا شك أن فرويد هو نبي هذه الديانة أو المنظّر الأول لهذه الإيديولوجية. وهذه الحقب كلها كان العنصر الحاسم في التطور الذي بلغته هو الإرادة كما يسميها أحياناً، أو الإرادة الروحية باعتبار أن الإرادة في صميمها هي الروح، أو الإرادة الربانية، باعتبار أن الروح ليست بجسم وما من سبيل إلى إدراكها إلا في مظاهرها، ومن ثم فالأحرى أن تكون هي هذا

المجهول الروحي الذي له السيطرة على كل المخلوقات والكون، والصراع الذي تدخله الإرادة أو الروح من أجل الوعي بالذات، هو الذي يصنع التاريخ، وينبغي أن تكون تنمية هذا الوعي هي رسالة التثقيف والتعليم، وكتاب "التربية الحديثة (1932) "Modern Education يشرح فيه رانك كل تصوراته وفلسفته في هذا الخصوص .

وكان كتاب "ما بعد علم النفس (1941) "Beyond Psychology آخر ما كتب رانك، وكان قد أكمل تأليفه تقريباً عندما وافته المنية فجأة، وقد عدّل فيه بعض أفكاره في تفسيره السيكولوجي للتاريخ، وطرح البعض الآخر بوضوح شديد، ونبه إلى الشمولية أو الحكم الشمولي باعتباره مرضاً اجتماعياً، وفسر قيامه بأنه رد فعل لفشل تحقيق الإنسان للإشباع الروحي عنده، وللإحباط الذي تحصل له نتيجة فشل محاولاته لبلوغ الخلود عبر الأطوار التي مر بها روحياً، وليس ثمة علاج لذلك إلا بأن يجد لنفسه وسيلة أو وسائل أخرى جماعية للتعبير عن هذا الطموح، تساعده على المزيد من التطور والتعبير عن نفسه بشكل أوسع وأصدق، عوضاً عن هذه التجارب اليائسة والفاشلة كتجربة الحكم الشمولي .

وهكذا نلاحظ اختلاف رانك مع فرويد ومع علماء النفس في عصره حول رؤيته للإنسان حيث رفض النظرة الآلية للسلوك الإنساني وتبنَّى نظرة تستند إلى إرادة الإنسان الحرة سواء في التعبير عن المعاني أو المبادرة بالفعل، وأعطى الوعي أهمية وفاعلية في النفس البشرية أكثر مما فعل فرويد الذي ركز على أهمية اللاشعور. وفي المجال التطبيقي، طوَّر رانك ما عُرف باسم «العلاج بالإرادة» والذي ركَّز على أهمية الإبداع سواء في العلاج أو في التعامل مع الواقع. واعتبر رانك أن العصاب تعبير عن عمل فني فاشل، وأن التحليل ميلاد ثان للمريض من خلال إعادة تأكيد ذاته والتعبير عنها.

في هذه الحقبة كما يقول رانك كان ظهور اليهودية كديانة. وقال مثل فرويد إنها ديانة آباء، وحتى الآن يقال عن أنبياء إسرائيل إنهم الآباء الأول

زادت أهمية الأبناء، وظهرت ديانة متساوقة مع هذا التطور، وهي المسيحية، ويسميها رانك ديانة الابن، والحقبة الحالية يتمثل فيها سيطرة إخوة الأبناء، وهي الحقبة الديمقراطية التي نعيشها

رفض رانك يهوديته واعتنق المسيحية الكاثوليكية عام 1908 واتخذ اسم «رانك» عام 1909 بسبب عدم ارتياحه لاسم «روزنفلد» ذي النبرة اليهودية. ولكنه عاد مرة أخرى إلى اليهودية عند زواجه عام 1918. ولم يكن رفض رانك ليهوديته يعني عدم اكتراثه بها، ففي عام 1905 أصدر مقالاً بعنوان « Das Wesen des Yudentumsطبيعة [الهوية] اليهودية) ادعى فيه أن اليهود وحدهم يمتلكون «العلاج الراديكالي» للعصاب. فهم باعتبارهم غرباء، ظلوا دائماً محصَّنين ضد أخلاقيات المجتمعات المتحضرة ذات التأثير المُحبط وظلوا محافظين على علاقاتهم المباشرة والنشيطة مع الطبيعة. أما الآن، فإن اليهود يواجهون كبتاً لنشاطهم الجنسي يأتي من الخارج في شكل معاداة اليهود ومن الداخل في شكل الاندماج، وأصبحوا مصابين بالعصاب والاضطراب النفسي مثل سائر البشرية. ورغم ذلك، فإن صلتهم الوثيقة بالطبيعة واتجاههم نحو التجديد يجعلهم يحملون الأمل الأخير للبشرية ويؤهلهم ليكونوا بالفعل « أطباء » البشرية. واليهودي في نسق رانك ليس سوى المتوحش النبيل الذي ظهر في عصر الاستنارة، وهو الإنسان في حالة الطبيعة الذي يعيش على مقربة من الطبيعة ويتفاعل معها فلا تفسده المدنية أو حدودها .

وهذا المتوحش النبيل يمكن أن يكون الهنود الحمر (سكان أمريكا الأصليين) أو الغجر أو البدو، وهو « اليهود » في حالة أوتو رانك. لكن تصوُّر رانك لليهود هو تصور أسطوري تماماً لا علاقة له بأي واقع، فالجماعات اليهودية جماعات غير متجانسة، ومن ثم لا يمكن الحديث عن اليهود بشكل مطلق. كما أن أعضاء الجماعات اليهودية في أوربا كانوا يشكلون جماعات وظيفية تعيش في عزلة نسبية، ولكن عزلتها عن الأغلبية لم تكن تعني اقترابها من حالة الطبيعة، إذ كانوا يعيشون في الجيتوات داخل المدن، ويعملون أساساً بالتجارة والربا، وهي نشاطات لا علاقة لها بالطبيعة

إلا أن هناك تطوراً آخر يبشر بحقبة جديدة يسميها رانك الحقبة السيكولوجية The Psychologicaleraو فيها تنمحى الديانات بالتدريج وينتهي الإيمان بما تقول به، ويكون الاعتقاد فقط بالمستحدثات في علم النفس

كان كتابه "ما بعد علم النفس BeyondPsycholog (y" (1941 آخر ما كتبه رانك، وكان قد أكمل تأليفه تقريباً عندما وافته المنية فجأة، وقد عدّل فيه بعض أفكاره في تفسيره السيكولوجي للتاريخ

طوَّر رانك ما عُرف باسم «العلاج بالإرادة» والذي ركَّز على أهمية الإبداع سواء في العلاج أو في التعامل مع الواقع

أو الزراعة. ولا يمكن النظر إلى تصنيف رانك لليهود كشعب طبيعي إلا باعتباره ترجمة علمانية جديدة لمفهوم الشعب المختار، على أن تحل الطبيعة محل الإله في الإطار الحلولي، كما أنه ولا شك قد تأثر بأسطورة اليهودي التائه، هذا الإنسان الموجود في المجتمعات دون أن يكون منها. واليهود في نسق رانك يشبهون الإيد (الهُوَ) أو اللبيدو في نسق فرويد، فهم الطاقة (الجنسية) التي لم يروضها التاريخ. وثمة نظرية تذهب إلى أن كلمة إيد Id عند فرويد مشتقة من كلمة ييد Yid التي تعني «يهودي.»

رفض رانك يهوديته واعتنق المسيحية الكاثوليكية عام 1908 واتخذ اسم «رانك» عام 1909 بسبب عدم ارتياحه لاسم «روزنفلد» ذي النبرة اليهودية

ادعى فيه أن اليهود وحدهم يمتلكون «العلاج الراديكالي» للعصاب. فهم باعتبارهم غرباء، ظلوا دائماً محصَّنين ضد أخلاقيات المجتمعات المتحضرة ذات التأثير المُحبط وظلوا محافظين على علاقاتهم المباشرة والنشيطة مع الطبيعة

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

Isaac Ray إسحاق راي

إسحاق راي (1807- 1881) Isaac Ray أميركي، من رواد الطب النفسي الشرعي، وعلم نفس الإجرام، والتنظيم الإداري للمصحات العقلية، وله فضل التأسيس للمشافي العقلية.

من أشهر كتبه "رسالة عن التشريع الطبي للجنون Treatise on the Medical Jurisprudence of Insanity" (1838) وهو أول كتاب من نوعه في هذا المجال يكتب باللغة الإنكليزية، وكان مرجعاً فقهياً في الطب النفسي لأكثر من خمسين عاماً.

وله أيضاً "الصحة النفسية Mental Hygiene" (1963)، و "إسهامات في علم الأمراض العقلية Contributions to Mental Pathology" (1873) تضمن مشاهد من مسرحيات لشكسبير وآخرين وروايات تدور حول الجنون.

أما في كتابه "الشخصية المثالية لموظفي مشفى المجانين Ideal Character of the Officers of a Hospital for the Insane" (1873) يصف راي وصفاً شاملاً ما ينبغي أن يتحلى به العاملون في المشافي العقلية، وما ينبغي أن تكون عليه شخصية مدير هذه المشفى.

واعتبارات راي للمرض النفسي متقدمة جداً بالنسبة لزمنه، وربما كان هو أول من نبه إلى ما يمكن أن يصيب الكثرة من الاضطرابات النفسية نتيجة العبث الديني وما يرافقه من زيادة في الشعور بالذنب والشكوك والقلق حول

إسحاق راي (1807- 1881) Isaac Ray أميركي، من رواد الطب النفسي الشرعي، وعلم نفس الإجرام، والتنظيم الإداري للمصحات العقلية، وله فضل التأسيس للمشافي العقلية

من أشهر كتبه "رسالة عن التشريع الطبي للجنون Treatise on the Medical Jurisprudence of Insanity" (1838) وهو أول كتاب من نوعه في هذا المجال يكتب باللغة الإنكليزية، وكان مرجعاً فقهياً في الطب النفسي لأكثر من خمسين عاماً.

مسائل ميتافيزيقية مثل وجود الله والحساب في الآخرة والعذاب والنار،.. الخ.

عيّن راي ابتداءً من سنة 1841 في وظائف ادارية وقيادية بالمشافي العقلية، ودعا إلى إنشاء رابطة عامة للعاملين بالطب النفسي، وكلف بالقيام بزيارات المشافي الأوروبية للإطلاع على المستجدات بها في النظام الإداري وفي اسلوب بنائها عموماً والمصحات العقلية خصوصاً، واشترك مع توماس ستوري كيركبرايد (1809–1883)م Thomas Story Kirkbride في وضع الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها إنشاء المصحة النفسية، وحذر في توصياته من ازدحام المصحات والعنابر بالمرضى، والقيود الزائدة عن الحد التي تفرض عليهم، وطالب بأن تقوم هذه المصحات على النظام الجيد، والإدارة السليمة، وأن يكون تصميمها صحياً ويراعى فيه حسن تهويتها، وأن تعنى بالعلاج المهني وبالترفيه.

ولم يكن راي من أنصار إلغاء القيود كلية على المرضى النفسيين، وشكك في جدوى العلاج النفسي، وصحة الإحصاءات التي تقرر شفاء نسبة عالية من الحالات ذكرت بعض التقارير أنها 60%، وغالى بعضها فجعلها 80%، ونبه إلى إمكان أن تكون هذه النسب نتيجة الشفاء الوقتي، وكان راي من أنصار الحذر في التعامل مع هذه الإحصاءات.

عام 1951 تأسست جائزة إسحاق راي وهي تكرم الشخص الذي قدم مساهمات بارزة في الطب النفسي الشرعي أو الجوانب النفسية في الفقه القانوني. وهي جائزة مشتركة بين الجمعية الأمريكية للطب النفسي والأكاديمية الأمريكية للطب النفسي والقانون، تكريمًا للدكتور إسحاق راي، أحد المؤسسين الأصليين والرئيس الرابع للجمعية الأمريكية للطب النفسي.

أما في كتابه "الشخصية المثالية لموظفي مشفى المجانين Ideal Character of the Officers of a Hospital for the (Insane" (1873 يصف راي وصفاً شاملاً ما ينبغي أن يتحلى به العاملون في المشافي العقلية، وما ينبغي أن تكون عليه شخصية مدير هذه المشفى

لم يكن راي من أنصار إلغاء القيود كلية على المرضى النفسيين، وشكك في جدوى العلاج النفسي، وصحة الإحصاءات التي تقرر شفاء نسبة عالية من الحالات ذكرت بعض التقارير أنها 60%، وغالى بعضها فجعلها 80%

شارك في المراجعة:

– د. هبة الكردي – المانيا

Wilhem Reich وليم رايخ

وليم رايخ Wilhem Reich(1907- 1957) نمساوي، اشتهر بنظريته في تحليل الشخصية، وقال بثورة ثقافية جنسية، وبطريقة في العلاج أطلق عليها اسم العلاج النمائي Vegetotherapy.

رايخ تعلم بجامعة فيينا، وقبل أن يتخرج كان يمارس التحليل النفسي، وصار عضواً نشيطاً في حركة التحليل النفسي، وكان هو المشرف على كل الدورات التي عقدت للعلاج بالتحليل النفسي في فيينا ابتداءً من سنة 1924 حتى سنة 1930

وليم رايخ (1907- 1957)Wilhem Reich نمساوي، اشتهر بنظريته في تحليل الشخصية، وقال بثورة ثقافية جنسية، وبطريقة في العلاج أطلق عليها اسم العلاج النمائي Vegetotherapy.

رايخ تعلم بجامعة فيينا، وقبل أن يتخرج كان يمارس التحليل النفسي، وصار عضواً نشيطاً في حركة التحليل النفسي، وكان هو المشرف على كل الدورات التي عقدت للعلاج بالتحليل النفسي في فيينا ابتداءً من سنة 1924 حتى سنة 1930، وكانت له نزعة اشتراكية، وتوجهت بحوثه إلى دراسة الاضطرابات العصابية عند العمال، ولاحظ في المرضى المترددين عليه من الجنسين الشكوى المستمرة من الاضطرابات الجنسية، وكانت نصائحه للمرضى تكاد تقتصر على تناول المسائل الجنسية، واشتهرت عياداته بأنها عيادات لإعادة التثقيف الجنسي، ولاستعادة الصحة الجنسية .

اضطر رايخ أن يوقف نشاطه بسبب الاضطهاد النازي له ليهوديته، وهاجر إلى الدانمرك والسويد والنرويج، وحاضر في جامعة أوسلو، واضطر مرة أخرى إلى الهجرة إلى نيويورك .

لرايخ مؤلفات كثيرة منها "وظيفة الإنعاظ The Function of the Orgasm" و"تحليل الخلق Character Analysis"، و"سيكولوجية الجماهير تحت حكم الفاشي Mass Psychology of Fascism" و "الثورة الجنسية The Sexual Revolution" و"الناس في الضيق People in Trouble".

كانت له نزعة اشتراكية، وتوجهت بحوثه إلى دراسة الاضطرابات العصابية عند العمال، ولاحظ في المرضى المترددين عليه من الجنسين الشكوى المستمرة من الاضطرابات الجنسية، وكانت نصائحه للمرضى تكاد تقتصر على تناول المسائل الجنسية

اشتهرت عياداته بأنها عيادات لإعادة التثقيف الجنسي، ولاستعادة الصحة الجنسية.

اضطر رايخ أن يوقف نشاطه بسبب الاضطهاد النازي له ليهوديته، وهاجر إلى الدانمرك والسويد والنرويج، وحاضر في جامعة أوسلو، واضطر مرة أخرى إلى الهجرة إلى نيويورك

طرد رايخ من الحزب الاشتراكي بسبب كتابه عن الفاشية وتحليله لشخصية الناس الذين يعيشون في ظلها، والأسباب النفسية لرضاهم بالحكم الاستبدادي. كما طرد من دولية التحليل النفسي لخروجه الصريح على مدرسة فرويد. وكان يقول إن العلاج الفرويدي المتوجه للأعراض العصابية لا يفيد، وأن هذه الأعراض لا تعني اضطراباً واحداً وإنما هذه الأعراض تعني أن الشخصية كلها قد تأثرت بالاضطراب، ومن ثم ينبغي أن يتوجه العلاج للشخصية ككل، وما لم يتغير طابع الشخصية لا يمكن أن نجزم بأن المريض شفي من مجرد زوال الأعراض .

تقوم فكرة رايخ في المرض النفسي على اعتبار الأعراض طبقات من الدروع تتكون عبر تاريخ المريض ومع كل صراع نفسي يعانيه، فالخجل مثلاً قد يكون درعاً نفسياً يحتمي به المريض من الكراهية الشديدة والإحباط القاتل اللذين لا يستطيع أن يفصح عنهما .

ويتلخص علاج رايخ في استثارة المريض واختراق دروعه النفسية ليظهر المكبوت عنده، وبدلاً من أن يتحول المريض إلى المعالج ويرتبط به نفسياً كما يقول فرويد، فإن المريض وقد جرده المعالج من دفاعاته النفسية واخترقها وعرّاها، صار موضوعاً للكراهية وللغضب المكبوتين، وإذ يستبصر المريض حقيقة مشاعره فإن ذكرياته تتداعى عن أسبابها الدفينة .

ويقول رايخ إن الدروع النفسية التي تكون بنا خلال مراحل عمرنا تجعلنا جامدين وتتثبت فينا صفات أخلاقية، وتشبه طبقات الصخور التي تتكون على القشرة الأرضية. ويقول إن النفس الإنسانية السوية هي العامرة بالمحبة والتي تفيض بها، ويصف الشخص الذي هذه صفته بأنه "تناسلي"Genital ، ويقول إن الأخلاق التناسلية أظهر ما تكون في فعل الجنس، وكلما كان الشخص لا يعاني من الكبت، والليبيدو عنده متحرر، فإن طاقته الشهوية لا تجد ما يقمعها أو يكبحها أو يوقفها، وتنسال منه قوية، صحيحة سليمة،

ومهمة العلاج النمائي هي أن يستعيد المريض صحته الجنسية فتنساب حركاته، وتعمل وظائفه الجسمية في سهولة ويسر وصحة، والدليل على تكامله النفسي والبدني هو الكفاءة التي يكون عليها جنسياً. وليس معنى العلاج الذي يقدمه رايخ أنه يدعو إلى فلسفة قوامها اللذة فقط، فعندما يخترق المعالج الدروع النفسية للمريض، التي تحميه من الألم، فإنه سيستشعر الألم واللذة معاً. ثم إن المريض الذي يعالج لن تكون حياته ميسرة، لأن ذلك يتوقف على ظروف خارجية لا يملك حيالها شيئاً، وإنما يتوخى العلاج أن يجعله إنساناً سليماً يعيش الواقع ويتفاعل معه من منطلقات صحية .

ويقول رايخ إن الشعور باللذة والألم لهما أصداء فزيولوجية، وإذا كبتت العاطفة أو الانفعال فإن معنى ذلك أن كبتهما تمّ بميكانيزم فزيولوجي، وهذا تفسير لرايخ لما أطلق عليه فرويد اسم العمليات اللا شعورية. وكان فرويد يتمنى أن يعرف كنه هذه العمليات ويتمثلها فزيولوجياً، والتزم أتباع مدرسة فرويد عدم البحث في العمليات اللا شعورية والتحدث فيها كأنها ما يسميه رايخ Metapsychology أي علم نفس يتجاوز نطاق علم النفس الحالي، ورايخ لذلك لا يكتفي بتسجيل تداعيات المريض ولكنه يقف منه موقفاً إيجابياً ويحاول اختراق دروعه، وإخراج التعبيرات المختلفة لما يسمى اللا شعور. وكان رايخ يسجل كل شيء يفعله المريض، حتى صمته، وحركاته وإيماءاته، كل ذلك له معانٍ عنده، ويفصح عما يجري هناك داخله من عمليات فزيولوجية تستتبعها حركات وتعبيرات لفظية وإيمائية .

ورايخ يقول لذلك بوحدة هوية، ويلغي الثنائية القديمة المؤلفة من الجسد والنفس، لكل ما هو نفسي له مظهر فيزيائي، وكل فيزيائي له مضمون نفسي، ويقول رايخ إن ما لفت نظره بشدة في الأعراض العصابية هو جانبها الحركي والتعبيرات على الوجه، وحول العينين، وحول الفم، وفي الجبهة، ولون الجلد، وإيماءات اليد، وتصلب الرقبة، ولا يوجد اضطراب عصابي دون هذا الجانب العضلي .

طرد رايخ من الحزب الاشتراكي بسبب كتابه عن الفاشية وتحليله لشخصية الناس الذين يعيشون في ظلها، والأسباب النفسية لرضاهم بالحكم الاستبدادي

طرد من دولية التحليل النفسي لخروجه الصريح على مدرسة فرويد. وكان يقول إن العلاج الفرويدي المتوجه للأعراض العصابية لا يفيد، وأن هذه الأعراض لا تعني اضطراباً واحداً وإنما هذه الأعراض تعني أن الشخصية كلها قد تأثرت بالاضطراب، ومن ثم ينبغي أن يتوجه العلاج للشخصية ككل

يتلخص علاج رايخ في استثارة المريض واختراق دروعه النفسية ليظهر المكبوت عنده

يقول رايخ إن الدروع النفسية التي تكون بنا خلال مراحل عمرنا تجعلنا جامدين وتتثبت فينا صفات أخلاقية، وتشبه طبقات الصخور التي تتكون على القشرة الأرضية.

إن النفس الإنسانية السوية هي العامرة بالمحبة والتي تفيض بها، ويصف الشخص الذي هذه صفته بأنه "تناسلي Genital"، ويقول إن الأخلاق التناسلية أظهر ما تكون في فعل الجنس، وكلما كان الشخص لا يعاني من الكبت، والليبيدو عنده متحرر، فإن طاقته الشهوية لا تجد ما يقمعها أو يكبحها أو يوقفها

ويقوم علاج رايخ على تنبيه المريض لما يجري لعضلات وجهه وتشنجات صوته ونظرات عينيه، ويحتمي المريض بأن يهاجم المعالج ويثور، وهذه الثورة هي ما يطلبها المعالج. ونظرية رايخ في وحدة الهوية ليست نظرية تفاعلية قطباها الانفعالات والجسد، ولكنها نظرية مادية تقول بوحدتهما. ويقول رايخ إن التربية التقليدية هي التي تصنع منّا آدميين نعاني من الكبت، وتعلمنا الطاعة والرضوخ، وتقتل فينا المبادأة والتلقائية والخوف من الحرية والمسؤولية، وترسخ فينا الاعتمادية والخجل من إظهار عواطفنا. والأخلاق التي تنادي بها التربية الدينية هدفها تهذيب العفوية والمباشرة، أي قمعها وكبحها، والنتيجة إننا ننمو وبنا انحرافات صحية. وليس ما ينادي به رايخ هو الإباحية الجنسية، ولكنه يطالب بالانتقال تدريجياً من المجتمع السلطوي إلى المجتمع المتحرر الذي تحكمه العقلانية، فإنها تقرّ الحرية، ولكنها الحرية المسؤولة وليست الفوضوية .

وينتقد رايخ بشدة نظرية فرويد في غريزة الموت، وينفي أن تكون هناك غريزة للموت، ويصف ما يقال عن هذه الغريزة بأنه سلبية، بدعوى أن كل سلوك يمكن أن يبرر بنسبته إلى فعل هذه الغريزة، ويقول إن الظواهر العيادية تثبت أن الانتحار ليس بدافع غريزي، ولكنه بدافع من الهرب من المواقف الضاغطة، أو للانتقام من شخص ما يهمه أمر المنتحر. وليس الخوف العصابي من الموت، هو خوف من غريزة الموت ولكنه في التحليل النهائي هو خوف من كارثة تحل بالشخص بموت عزيز عليه، وهذا الخوف هو الذي يولّد في المريض القلق الذي يعصف به عاطفياً، ويصرف طاقته الشهوية عن طرقها الطبيعية ويدمر حياته الجنسية .

ويقول رايخ إن علماء التحليل النفسي يعارضون العمل باعتباره ضد الجنس، فالعمل يصرف عن الجنس، وهو مؤلم، ولم يميزوا بين العمل القهري المؤلم والعمل المحبوب المشوق. وقد لاحظ رايخ أن المرضى الذين يشكون

اضطراباً عصابياً بدأوا بعد ممارسة الجنس يشعرون بالحاجة الماسة لأن يقوموا بنشاط ما، على عكس ما ذهب إليه فرويد، بينما الذين كان لهم عمل فعلاً ويحبونه بدأوا يبدعون فيه، ومن ثم استنتج، على عكس فرويد أيضاً، أن الحضارة والثقافة ليستا نتاج الكبت الغريزي. وقال إن الاستبداد لو تلاشى ونما الأطفال في مجتمع تربوي يؤكد الجنس فإن الناس سيكونون أكثر ميلاً للسلم وأكثر تعاوناً.

يقول رايخ إن الشعور باللذة والألم لهما أصداء فزيولوجية، وإذا كبتت العاطفة أو الانفعال فإن معنى ذلك أن كبتهما تمّ بميكانيزم فزيولوجي، وهذا تفسير لرايخ لما أطلق عليه فرويد اسم العمليات اللا شعورية

كان رايخ يسجل كل شيء يفعله المريض، حتى صمته، وحركاته وإيماءاته، كل ذلك له معانٍ عنده، ويفصح عما يجري هناك داخله من عمليات فزيولوجية تستتبعها حركات وتعبيرات لفظية وإيمائية

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

Yahia Rakhawy يحيى توفيق رخاوي

يحيى توفيق الرخاوى (1933 – 2022) "صاحب احترام الحزن ، الحزن الإنساني الصافي النبيل، إللي بيشكل جزء أصيل من الوجود الإنساني ذاته و سنة الحياة و الوعي بها، و اللي نادرا ما بنسمح لنفسنا نحسه و نسيبه يخرج للسطح. و احترام الحزن بيتحقق في مساحة من الصمت ، من غير عياط كتير و لا دبدبه على الأرض و من غير استخدام مفردات متنقيه على الفرازة بس هتسطح أي إحساس."

البروفيسور الرخاوي عالم موسوعي هو طبيب نفسي وعالم نفس واديب وروائي وشاعر ومفكر تجازو زمانه باشواط ، كان ظاهرة قل نظيرها ومن ابرز المفكرين على المستوى العالمي في الربع الاخير من القرن العشرين ومطلع القرن الحالي.. يتمتع بأخلاق رفيعة فاضلة قل نظيرها..

الرخاوي أستاذ الطب النفسي المصري، لقب بـ "عميد الطب النفسى العربى"، وهو ما يرجع فى بعض منه أولاً: لحجم انتباهه لأهمية السياق الثقافى (والديني) والاجتماعي الخاص بالمريض فى تشكيل التعامل العلاجى معه، وثانياً: لإصراره على أحقية الحضارة العربية وأبنائها فى الإضافة والإسهام الأصيل فى جسم الطب النفسى والمعرفة النفسية العالمية، مكملةً ومضيفةً وأصيلة.

ومن إسهاماته الباكرة قيامة مع زميله وصديقه أ.د. محمد شعلان فى تقديم العلاج النفسي الجمعى للثقافة العربية، ويذكر أن الرخاوى ظل يمارس هذا

يحيى توفيق الرخاوى (1933 – 2022) "صاحب احترام الحزن ، الحزن الإنساني الصافي النبيل، إللي بيشكل جزء أصيل من الوجود الإنساني ذاته و سنة الحياة و الوعي بها، و اللي نادرا ما بنسمح لنفسنا نحسه و نسيبه يخرج للسطح

البروفيسور الرخاوي عالم موسوعي هو طبيب نفسي وعالم نفس واديب وروائي وشاعر ومفكر تجازو زمانه باشواط ، كان ظاهرة قل نظيرها ومن ابرز المفكرين على المستوى العالمي في الربع الاخير من القرن العشرين ومطلع القرن الحالي..

العلاج كل أربعاء بانتظام ودون انقطاع (اللهم إلا فترات سفره القليلة والقصيرة)، فى عيادة كلية طب جامعة القاهرة (قصر العيني)، من بدايات سبعينيات القرن العشرين وحتى وفاته (فى ديسمبر 2022).

مؤخراً أَطلَق وصف "الطبنفسي الإيقاعحيوي التطوري" على مجمل جهوده وتنظيره في المجال.

فقد كان يَنظُر للمرض النفسى بوصفه عرضاً من أعراض أزمة نمو "تطورى" وليس مجرد انحراف إحصائى عن حالة السواء/العادية. ففى مسار نموه يعيش المريض/أو المأزوم ما يشبه الثورة على ما يُقحم على وعيه من دفاعات خانقة أو اغتراب؛ ويصبح دور العلاج والمعالج هو توفير السياق الأقل دفاعية واغتراباً ومواكبة المريض لمساعدته على العبور الإيجابى بهذه الأزمة مما ينتج "إبداع" حياة أنضج. وفي غياب السياق المساعد يمكن أن تفشل الثورة، فنتراجع نحو العادية بدفاعاتها السائدة، أو قد يستقر الشخص فى الصيغة المرضية بأعراضها وشذوذها عن السواء.

من طبيعة الحال أن تكون مسيرة الإنسان جزءً لا ينفصل عن مسيرة التطور البيولوجي التطورية. لذا فإن رصد مسيرة التطور يمكن أن يعلِّمنا كثيراً عن النفس الإنسانية، وهنا لا نكتفي فقط برصد أصول النفعالات (كالخوف مثلا) ووظائفها التكيفية، ولابرصد سلوكيات ووظائف تكيفية أخرى لدى الحيوانات كالكر والفر –مثلا– وتشبيهها بما يفعله البارانويديون، ولكننا نتعلم أيضاً من عملية حدوث التطور نفسها.

كل هذا يضعه يحيى الرخاوى فى إطار نظرى يسميه "تناوب حالات الوجود":– "حالة العادية" و"حالة التعتعة Dislodgment" و"حالة الإبداع"، وهي حالات نعيشها بأشكال وتجليات متباينة. في العادة، وبالنسبة للسواد الأعظم؛ نعيش حالة العادية أكثر من غيرها، مفضلين الاستقرار والأمان. أما التعتعة فتشمل مغامرة التفكك والتفكيك بما تحمل من تبعات مقلقة ومضطربة

الرخاوي أستاذ الطب النفسي المصري، لقبه بـ "عميد الطب النفسى العربى"، وهو ما يرجع فى بعض منه أولاً: لحجم انتباهه لأهمية السياق الثقافى (والديني) والاجتماعي الخاص بالمريض فى تشكيل التعامل العلاجى معه، وثانياً: لإصراره على أحقية الحضارة العربية وأبنائها فى الإضافة والإسهام الأصيل فى جسم الطب النفسى والمعرفة النفسية العالمية، مكملةً ومضيفةً وأصيلة.

مؤخراً أَطلَق وصف "الطبنفسي الإيقاعحيوي التطوري" على مجمل جهوده وتنظيره في المجال.

يَنظُر للمرض النفسى بوصفه عرضاً من أعراض أزمة نمو "تطورى" وليس مجرد انحراف إحصائى عن حالة السواء/العادية.

وربما مفسخة للمعنى بما يحمله هذا من هم واكتئاب. فإذا استقر الشخص فى هذا الاضطراب عُدّ مريضاً، ومهمة المعالج هي أن يواكبه ويكمل معه الطريق من مرحلة التعتعة (وتوابعها) إلى عبور أزمة النمو، إما إبداعاً للذات في مستوى نضج جديد، وخروجاً من أزمة النمو هذه بولاف أعلى يستوعب الثورة ويتكيف مع العادية، أو يكتفى بالعادية متنازلاً عن الثورة. ومن الواضح أن هذا المنظور يتخطى التصنيفات الإحصائية المعتادة للأمراض النفسية، لصالح توجه علاجى يساعد المرضى على تجاوز أزمة النمو، ولا يكون همه الأول والوحيد كبت الأعراض وإزالتها من حياته وحياة المحيطين، وإن كان لهذا دوره وتوقيته بالطبع.

وقد كان الرخاوى سباقاً تماماً فى تبنى المنظور التطوري البيولوجي وتعميقه حين أسس "جمعية الطب النفسى التطورى" فى 1980 بينما لم تتشكل جماعة أخرى حول العالم لهذا التوجه إلا فى عام 2016 حين تشكلت جماعة الطب النفسى التطورى تحت مظلة الجمعية الملكية البريطانية، كما أسس ورأس تحرير مجلة فصلية علمية/ثقافية باسم "الإنسان والتطور" ظلت تصدر ورقية من 1980 – 2001.

فالإبداع عنده وظيفة تطورية وليس إنجازاً تكميلياً وحسب:– من الواضح –وإن كان من غير المألوف أن نقول– إن التطور الحيوى إبداعىٌ فى جوهره؛ فما نعرف ونفترض عن التطور الحيوى يشير إلى كون الكائنات الأدنى "تتغير" لتتكيف مع ظروف واقعها وبيئتها بالتطور واكتساب صفات أرقى. يحدث بعض هذا الاكتساب تدريجياً، وقد يحدث بعض التغيير فى صورة طفرات ونقلات كبيرة. كيف يمكن –إذن– أن ننكر على الإبداعية أن تكون صفة من صفات التطور الحيوى الخلاق؟! هل فقط لأنها لم تخرج عن "ذهن" مبدع بشرى نعرفه؟ وهل لدينا مبررات حقيقية تسمح لنا بالتفرقة بين إبداعيتنا الإنسانية من ناحية، والسلوك التطورى للكائنات الحية الأدنى من

مسيرة الإنسان جزءً لا ينفصل عن مسيرة التطور البيولوجي التطورية.

كل هذا يضعه يحيى الرخاوى فى إطار نظرى يسميه "تناوب حالات الوجود":– "حالة العادية" و"حالة التعتعة "Dislodgment و"حالة الإبداع"، وهي حالات نعيشها بأشكال وتجليات متباينة.

أن هذا المنظور يتخطى التصنيفات الإحصائية المعتادة للأمراض النفسية، لصالح توجه علاجى يساعد المرضى على تجاوز أزمة النمو، ولا يكون همه الأول والوحيد كبت الأعراض وإزالتها من حياته وحياة المحيطين

ناحية أخرى؟ ربما وجب علينا أن نعيد النظر للإبداع والإبداعية، بمعنى ألا نظل أَسْرَى فكرة "أن المبدعين مَوْهوبون استثنائيون" (وهو ما يمكن أن نستخدمه لإعادة النظر للمرض أيضاً، فقد نجد أننا جميعاً نعيش بعض مراحل ما يسمى جنوناً، أحياناً). فبالنسبة لـ "طبيب نفسى"، مهتم بكفاءة الحياة النفسية ذات الأصل البيولوجى التطورى: يصبح الإبداع الأهم هو إبداع النمو النفسى كما أسماه أحياناً، أو إبداع الذات كما أسماه أحياناً أخرى.

يقال فى أدبيات التطور الحيوى إن الجينات التى تتحوَّر –عبر أجيال– لتُكْسِبَ الكائنَ الحىَّ الذى يحملها صفات جديدة قد تنجح أحياناً فى تعظيم تكيّف هذا الكائن (بتطوره، بالاتساع لاستيعاب المزيد فى كلٍّ جديد)، كما أنها قد تفشل أحياناً أكثر فى إيجاد صيغة متكاملة متناغمة ناجحة (فيهددها الانقراض). إذن؛ فالعملية التطورية تتضمن درجة لا بأس بها من التجريب الذى قد تصلح نتائجه فتمكث فى الأرض، وقد يفشل فيذهب جفاءً. كما أنها تتضمن أيضاً احتمالات لا بأس بها من الفك وإعادة التركيب، بدرجات.

هاتان الصفتان الأخيرتان للعملية التطورية (التجريب غير مضمون النتيجة، والفك لإعادة التركيب الجديد بمزيد من الاتساع) هما أيضاً من لوازم العملية الإبداعية كما نعرفها فى صورتها الإنسانية. فهل يُعْقَل أن تكونا صفتين لازمتين لكل كائن حىّ بما هو خاضع دوماً لقوانين الحياة بما فيها التطور، بينما هما فى الحالة الإنسانية مقصورتان على فئة خاصة تستحق منَّا تمييزها بأنها وحدها "الفئة المبدعة"؟!

يرى يحيى الرخاوى أن قبول نظرية النشوء والتطور يلزمنا أن نرى فعلها وحركتها فينا نحن البشر أيضاً؛ بما أننا لسنا استثناءً من القوانين الحيوية. ولهذا شواهده فى الحياة النفسية فى حالاتها المتنوعة. وهنا نحتاج لتضمين ظاهرة الإيقاع الحيوى (الإيقاعحيوى) التى تستوعب وتصوغ وتُسَيِّر عمليات الفك والتركيب المشار إليها.

قد كان الرخاوى سباقاً تماماً فى تبنى المنظور التطورى البيولوجي وتعميقه حين أسس "جمعية الطب النفسى التطورى" فى 1980 بينما لم تتشكل جماعة أخرى حول العالم لهذا التوجه إلا فى عام 2016

وجب علينا أن نعيد النظر للإبداع والإبداعية، بمعنى ألا نظل أَسْرَى فكرة "أن المبدعين مَوْهوبون استثنائيون"

يمثل انتباه المعالج لهذه الطبيعة الإيقاعحيوية عند عملائه عاملاً مهماً فى تعامله معهم ومساندته لهم. ومن أبرز ملامح هذه الطبيعة وأهمها لحياتنا النفسية هى الطبيعة الإيقاعية لحالات النوم والصحو، والحلم خاصة. ففي الحلم نرى بوضوح حالة "التعتعة"، وهي هنا تكافئ جنوناً يومياً مصغراً؛ يدعم به الرخاوى فروضه الخاصة بتناوب حالات الوجود، ومنها التعتعة بوصفها حالة دورية تسهم فى النمو النفسى، وليس بوصفها تفسخاً مستقراً فى الغرابة والشذوذ. وللشرح يمكن اقتطاف هذه الفقرة (بتصرف) من تصدير كتابه عن نظريته (تحت الطبع):

فى الحلم يحدث التفكيك، الذى "يشبه الجنون كثيراً"، فعادة ما تكون عناصره ضعيفة الترابط، وليست واقعية بالضرورة، لا فى أماكنها ولا فى أزمانها، ولا فى منطقها أو تسلسلها، ولا فى خضوعها للقوانين العادية كالجاذبية مثلا، ولا فى طبيعة هجمات المشاعر فيها... إلخ. ومع ذلك نصحو، أحياناً، لننسج من هذا الذى "يشبه الجنون" ما "يشبه الحكاية". إن هذا الحدث الموصوف هنا بتركيز واختزال؛ هو حدث إبداعى يومى، وضرورى حيوياً، ومفيد صحياً ونفسياً، ومن المعروف أن غيابه مرتبط بشدة بالمرض النفسى بأشكال متنوعة. لعل هذا يجعل من غير الصعب أن نفهم كيف أن العملية التي تشمل كلا من الجنون (أو التعتعة) والإبداع هي عملية بيولوجية، ومن ثم عامة وضرورية.

كذلك اهتم الرخاوى كثيراً بدور الجسم وحركته ونشاطه فى تشكيل الوعى (صحة ومرضاً) وغيرها، واستخدم هذا الاهتمام في استحداث ممارسات علاجية (في مستشفاه الخاص بقيادة تلميذه الأقرب أ.د. رفعت محفوظ) كانت نتائجها واضحة ومبشرة.

وله إسهامات عديدة أخرى فى الطب النفسى، ومن أهمها اشتقاقه لنظام تصنيف للملامح (أبعاد) الإكلينيكية للمريض في إطار توجه علاجى أساسا،

يقال فى أدبيات التطور الحيوى إن الجينات التى تتحوَّر – عبر أجيال– لتُكْسِبَ الكائنَ الحىَّ الذى يحملها صفات جديدة قد تنجح أحياناً فى تعظيم تكيّفه هذا الكائن (بتطوره، بالاتساع لاستيعاب المزيد فى كلّ جديد)، كما أنها قد تفشل أحياناً أكثر فى إيجاد صيغة متكاملة متناغمة ناجحة (فيهددها الانقراض).

يرى يحيى الرخاوى أن قبول نظرية النشوء والتطور يلزمنا أن نرى فعلها وحركتها فينا نحن البشر أيضاً؛ بما أننا لسنا استثناءً من القوانين الحيوية. ولهذا شواهده فى الحياة النفسية فى حالاتها المتنوعة.

وهذا في محاولته التغلب على جوانب القصور "المعروفة" عن نظم ودلائل التشخيص السائدة (DSM و ICD مثلا) ونظامه التصنيفي هذا يستخدم جنباً إلى جنب دلائل التصنيف هذه وليس بديلا عنها، ولكنه يركز على أبعاد تصف وتصنف المرضى بما يفيد فى ترشيد وتوجيه العملية العلاجية أساساً.

كما كتب ونشر العديد من الكتابات النقدية العميقة فى الأعمال الأدبية، حيث يقرأ ويرصد استبصارات المبدعين الأدباء بأحوال النفس، وقد بلغ اهتمامه بقراءة هذه الأعمال أن كان يسمى فحص الحالة المرضية الذى يمارسه بأنه "نقد وقراءة النص البشرى" وهى تسمية أطلقها على نشاطه هذا تلميذه وصديقه د. عصام اللبَّاد.

دفعه هذا الإيمان بقدرة الأدب على رصد النفس الإنسانية بدقة إلى صياغة نظريته للإمراضية النفسية Psychopathology في صورة ديوان شعري سر اللعبة، يقول أول بيت فيه: "هل يعلم أحدكمو ما يحمل داخله من جِنَّة؟"، كما ألف ديوان أغوار النفس بالعامية المصرية حيث يصفه بأنه في فقه العلاقات البشرية.

بالإضافة فقد أنتجت اهتماماته الادبية عدداً آخر من الدواوين الشعرية ومجموعات القصص القصيرة، كما حصلت روايته المشي على الصراط (من جزئين: 1- الواقعة و 2- مدرسة العراة) على جائزة الدولة التشجيعية في الرواية عام 1980.

يتم التوسع لاحقا في سيرته واهم اعماله في موسوعة مشاهير اعلام العلوم النفسية العربية (قيد الانجاز)

*تكرم باعداد هذه المادة نجله ا. د. يحيى الرخاوي

في الحلم يحدث التفكيك، الذى "يشبه الجنون كثيراً"، فعادة ما تكون عناصره ضعيفة الترابط، وليست واقعية بالضرورة، لا فى أماكنها ولا فى أزمانها، ولا فى منطقها أو تسلسلها، ولا فى خضوعها للقوانين العادية كالجاذبية

له إسهامات عديدة أخرى فى الطب النفسى، ومن أهمها اشتقاقه لنظام تصنيف للملامح (أبعاد) الإكلينيكية للمريض في إطار توجه علاجى أساسا

دفعه هذا الإيمان بقدرة الأدب على رصد النفس الإنسانية بدقة إلى صياغة نظريته للإمراضية النفسية Psychopatholog y في صورة ديوان شعري سر اللعبة

Carl Rogers كارل روجرز

كارل روجرز Carl Rogers (1902 –1987) أميركي اشتهر بطريقته في العلاج النفسي التي أطلق عليها اسم العلاج غير الموجّه Non–directive therapy، أو العلاج الممركز حول العميل Client– central therapy، فعن طريق العلاقة الشخصية الوثيقة التي يعقدها المعالج مع العميل يستشعر العميل أنه مهم، وأن ما يقوله أو يحسه يجد من ينصت له ويناقشه معه مهما كان أمره، فيعيش الخبرات التي كانت له من جديد، وإنما بطريقة مختلفة يجد فيها نفسه، ويتعرف على ما كان يتهدده من هذه الخبرات، وأسباب إنكاره لها، ولا يعود يخشى أن تعاوده أية خبرة، أو أن يدخل أية خبرة، وينفتح على العالم من حوله.

ولروجرز نظرية في الشخصية يعرف بها ويستقيها من خبراته كمعالج بطريقة العلاج الممركز حول العميل، ويذهب فيها إلى: أن لكل فرد عالمه المتغير أو مجاله الظاهري الذي يعرفه عن نفسه، وهو يستجيب له كما يخبره ويدركه، وهو بهذه الصفة أقدر الناس على أن يعطي المعلومات عنه، ومن ثم يكون من الواجب الإنصات له، غير أن فكرته عن الواقع من حوله ليست هي الواقع، وإنما هي افتراض عن الواقع قد يصدق عليه أو يكذب، والمشكلة الفينومينولوجية الكبرى عند روجرز أنه ما من طريقة نستطيع بها أن نميز بين الصورة الذاتية التي تمثل الواقع تمثيلاً صادقاً، وتلك التي تمثله تمثيلاً كاذباً، إلا باختبار هذه الصورة الذاتية التي عندنا على الواقع، بمقارنة

كارل روجرز Carl Rogers (1902–1987) أميركي اشتهر بطريقته في العلاج النفسي التي أطلق عليها اسم العلاج غير الموجّه Non–directive therapy، أو العلاج الممركز حول العميل Client– central therapy

المعلومات التي نتلقاها عن الواقع من مصادر مختلفة بعضها ببعض.

ويرفض روجرز سيكولوجياً فكرة المثير الاستجابة، ويؤيد وجهة النظر السيكولوجية التي تقول بأن الكائن الحي يستجيب للمجال الظاهري ككل منظم، وأنه ينزع دائماً إلى تحقيق ذاته ويتجه في نضجه نحو الاستقلال والتمايز والاتساع، ويكافح من أجل ذلك ويتحمل المشاق بتأثير من دافع إبداعي للنمو هو الذي يجعل الطفل مثلاً يدأب على محاولة المشي برغم ما يلاقي من عثرات، وهو إذ يختار يميز بين طرائق السلوك، فإذا عرفها اختار طرق النمو منها ورفض طرق النكوص، ودافعه دائماً هو هذا الدافع الواحد وهو أن يصون ذاته ويدعمّها، برغم أن سلوكه يتوجه أساساً نحو هدف إشباع الحاجات التي يخبرها في مجاله كما يدركه، إلا أن تعدد الحاجات لا يتعارض مع الدافع الواحد.

ومن شأن الانفعال أن يصاحب السلوك الموجه للهدف وييسر له عمله، فالغضب مثلاً يسمح ببذل جهد أكبر للحصول على الطعام، بينما الشعور بالرضا يساعد على الهضم. ولكي نفهم سلوك أي فرد ليس علينا الاعتماد على نتائج الاختبارات وملاحظة السلوك فقط، ولكن أفضل فهم يتأتى من خلال إطاره المرجعي الداخلي الخاص كما يعبّر عنه في اتجاهاته ومشاعره، وتقارير الفرد عن نفسه هي أحسن المصادر للبيانات النفسية عنه.

ويتحدث روجرز عن مفهومه عن الذات Self، والذات عنده هي وعي الفرد بوجوده ونشاطه، أو هي بتعبير آخر مجموع الخبرات التي تنسب لضمير المتكلم أنا، وهي تتمايز من المجال الإدراكي الكلي بالتدريج، فمن بين أنواع التمييز التي يتعلمها الطفل تمييزه لذاته كشيء بارز عن البيئة التي يعيش فيها، فيدرك أن أشياء تخصه وأخرى تخص البيئة.

وكذلك يبدأ في أن يكون له تصوره عن نفسه في علاقته بالبيئة، ويضفي على الأشياء من حوله قيماً في ضوء ما يحبه وما لا يحبه، فتكون لخبراته

عن طريق العلاقة الشخصية الوثيقة التي يعقدها المعالج مع العميل يستشعر العميل أنه مهم، وأن ما يقوله أو يحسه يجد من ينصت له ويناقشه معه مهما كان أمره، فيعيش الخبرات التي كانت له من جديد، وإنما بطريقة مختلفة يجد فيها نفسه

أن لكل فرد عالمه المتغير أو مجاله الظاهري الذي يعرفه عن نفسه، وهو يستجيب له كما يخبره ويدركه، وهو بهذه الصفة أقدر الناس على أن يعطي المعلومات عنه، ومن ثم يكون من الواجب الإنصات له

بها طبيعتها الإيجابية أو السلبية. وقد يأخذ القيم عن الآخرين ويدركها كما لو كانت خبراته هو، ويصبح عنده بناء للذات هو صورة منظمة قائمة في الوعي كشكل أو كأرضية للذات ولعلاقتها بالبيئة وللقيم. ولعلنا نلاحظ أن للذات دوراً مركزياً في نظرية روجرز عن الشخصية، وهو يعطي اهتماماً خاصاً لتمثل الذات للقيم أو عملية استدماج القيم، فكثيراً ما يقلد الطفل أبويه في ما يفعلان، وقد يعاقب أحياناً على ما يصدر منه برغم أنه يحب أن يفعله، وقد ينشأ لديه صراع يجعله يراجع مجموع القيم عنده وصورته عن ذاته، وهذه المراجعة قد تؤدي أحياناً إلى تشويه مشاعره وقيمه. فلو فرضنا طفلاً يحبه أبواه ولكنه يدأب على إلحاق الأذى بأخته فيعاقبه الأبوان، فإنه نتيجة لهذا العقاب فقد يجد نفسه يراجع صورة ذاته وقيمته، فإما أنه يقر أنه ولد شرير، وإما أنه يتحصل له الإدراك أن أبويه لم يعودا يحبانه، وإما إنه يقرر أن لا يؤذي أخته ثانية، فإذا انتهى إلى القرار الأخير مثلاً فمعنى ذلك أنه سينكر شعوره بالكراهية لأخته، وباللذة التي يستجلبها عليه إيذاؤه لها، ولا يعني إنكاره لشعوره أن هذا الشعور سيتوقف بل هو مستمر بطرق أخرى وربما لا شعورية. ولسوف ينشأ لديه صراع بين قيمه المستدمجة من الأبوين والتي يتبناها مضطراً وقيمه الأصلية، أو بين قيمه المنقولة عن الغير وقيمه النابعة من ذاته، ومعظم الناس يستشعرون أنهم على غير طبيعتهم ويعيشون في توتر وقلق لهذا السبب، والأسلم للأبوين أن يسايرا الطفل على قيمه ليخف عنده الصراع ويختفي التهديد من حياته، وتنمو ذاته صحيحة ليس فيها أثر للإنكار أو التشويه.

ونحن في علاقتنا بأي خبرة إما أننا نحولها إلى صورة رمزية ندركها بها ونستدمجها في الذات، وإما إننا نتجاهل أثرها أو ننكر هذا الأثر. فلو شعرنا مثلاً بالعدوانية تجاه الإنسان المسالم، فقد ننكر فينا المشاعر العدائية، ومع ذلك فإن هذه المشاعر تمرّ لأنها تتحول إلى صورة رمزية مشوهة، كأن ننفيها

المشكلة الفينومينولوجية الكبرى عند روجرز أنه ما من طريقة نستطيع بها أن نميز بين الصورة الذاتية التي تمثل الواقع تمثيلاً صادقاً، وتلك التي تمثله تمثيلاً كاذباً، إلا باختبار هذه الصورة الذاتية التي عندنا على الواقع، بمقارنة المعلومات التي نتلقاها عن الواقع من مصادر مختلفة بعضها ببعض

لكي نفهم سلوك أي فرد ليس علينا الاعتماد على نتائج الاختبارات وملاحظة السلوك فقط، ولكن أفضل فهم يتأتى من خلال إطاره المرجعي الداخلي الخاص كما يعبّر عنه في اتجاهاته ومشاعره، وتقارير الفرد عن نفسه هي أحسن المصادر للبيانات النفسية عنه.

عن أنفسنا وننسبها أو نسقطها على الغير. وعندما نجوع مثلاً فإن المثيرات التي نعرف أنها تشبع فينا الجوع هي التي يتوجه إليها إدراكنا دون سائر المؤثرات التي نتجاهلها. والإدراك انتقائي، وهو ينتقي من الصور الرمزية ومن الخبرات ما يتفق مع مفهوم الفرد عن نفسه، ومن ثم تكون أحسن طريقة لتعديل السلوك هي استحداث التغيير في مفهوم الذات، وطريقة العلاج المتمركز حول العميل هي طريقة للعلاج بتغيير مفهوم الذات.

وقد يسلك الفرد بحيث لا يكون سلوكه متسقاً مع الذات. ويأتي وكأنه لا ينتمي للفرد، كما في الحالات التي نقول فيها إننا خرجنا عن طورنا، أو الحالات التي نلوم بعدها أنفسنا على ما بدر منّا، كما لو كانت دوافع أخرى لا نتحكم فيها في أنفسنا. وكان روجرز يقول إن بكل فرد جهازين يصدر عنهما السلوك، أحدهما الذات والآخر الكائن الحي بحاجاته العضوية، وما لم يعمل الجهازان في انسجام فإننا نعاني التوتر وسوء التكيّف، بمعنى أن سوء التوافق يترتب على وجود هذه الحاجات العضوية والخبرات الحسية ولا يكون الفرد على مستوى الوعي بها، ومن ثم لا تدخل بناء الذات ولا تنتظم فيه، وذلك قول من روجرز يشبه قول فرويد بوجود الهو والأنا، والهو مصدر الحاجات التي لا نعيها ومن ثم يكون عجز الأنا عن السيطرة عليها. والكائن الحي Organism هو بمثابة الهو عند روجرز، والذات عنده بمثابة الأنا، وهي التي تختار الخبرات التي تناسب بناءها، وتستبعد تلك التي لا تناسبه، وأي خبرة لا تتسق مع بناء الذات قد ندركها كتهديد. وتدافع الذات عن نفسها بأن تنكر هذه الخبرات المهددة للشعور، فتتباعد عن الواقع، وكلما زاد هذا النوع من الخبرات المهددة ازدادت الهوة بين الذات والواقع.

وفي العلاج المتمركز حول العميل تستدعى هذه الخبرات في جلسة العلاج التي تخلو من أي تهديد، ومن ثم يستطيع العميل أن يكتشف مشاعره اللا شعورية ويرفعها إلى المستوى الشعوري ويتمثلها، وقد يستلزم ذلك إعادة

يتحدث روجرز عن مفهومه عن الذات Self، والذات عنده هي وعي الفرد بوجوده ونشاطه، أو هي بتعبير آخر مجموع الخبرات التي تنسب لضمير المتكلم أنا، وهي تتمايز من المجال الإدراكي الكلي بالتدريج

لعلنا نلاحظ أن للذات دوراً مركزياً في نظرية روجرز عن الشخصية، وهو يعطي اهتماماً خاصاً لتمثل الذات للقيم أو عملية استدماج القيم، فكثيراً ما يقلد الطفل أبويه في ما يفعلان

نحن في علاقتنا بأي خبرة إما أننا نحولها إلى صورة رمزية ندركها بها ونستدمجها في الذات، وإما إننا نتجاهل أثرها أو ننكر هذا الأثر

تنظيم مفهوم الذات ليتسق مع واقع هذه الخبرات. ومن الناس من يستطيع النهوض بهذه العملية بدون علاج، وإذا تمّ للعميل ذلك بحيث يستطيع تقبل كل خبراته الحسية والعضوية ويدمجها في اتساق مع جهاز الذات فإنه يصبح أكثر تقبلاً للآخرين، فالشخص الدفاعي يميل للسلوك بعدائية ضد الآخرين الذين يرى فيهم تمثيلاً لمشاعره التي ينكرها، فمثلاً إذا أدرك شخص أن دفعاته الجنسية تهدده فإنه يميل إلى انتقاد الآخرين الذين يسلكون جنسياً، أما إذا تقبل مشاعره الجنسية أو العدوانية فإنه يصبح أكثر احتمالاً للسلوك الجنسي أو العدواني عند الآخرين، ويترتب على ذلك أن تتحسن علاقاته الاجتماعية بالناس وتقل به احتمالات التعرض للصراعات الاجتماعية، كما أنه يكتسب انفتاحاً يمكنه من معاودة النظر فيما لديه من قيم ليغيّر فيها بحيث تكون لذاته المرونة للتكيّف مع الظروف المتغيرة. وبديهي أن ذلك ما يحدث للجميع عموماً على مستوى المجتمع. ويصف روجرز نظريته تلك في الشخصية بأنها ظواهرية، لأنها تشترط لتكامل وصحة بناء الذات أن تكون التصورات عنها متفقة مع مكونات المجال الظاهري، وذلك منتهى ما يمكن أن يبلغه ارتقاء الشخصية، وإذا تحقق فإنه يمثل تحرراً من التوتر الداخلي والقلق، ومن أية توترات محتملة، وهذا هو حد الكمال في التوافق الذي يوجهه الواقع، والذي يعني أن نظام القيم عند الفرد يساير نظام القيم عند غيره من الأسوياء.

طريقة العلاج المتمركز حول العميل هي طريقة للعلاج بتغيير مفهوم الذات.

كان روجرز يقول إن بكل فرد جهازين يصدر عنهما السلوك، أحدهما الذات والآخر الكائن الحي بحاجاته العضوية، وما لم يعمل الجهازان في انسجام فإننا نعاني التوتر وسوء التكيّف

في العلاج المتمركز حول العميل تستدعى هذه الخبرات في جلسة العلاج التي تخلو من أي تهديد، ومن ثم يستطيع العميل أن يكتشف مشاعره اللا شعورية ويرفعها إلى المستوى الشعوري ويتمثلها.

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

Hermann Rorschach هيرمان رورشاخ

هيرمان رورشاخ Hermann Rorschach (1884- 1922) سويسري، اشتهر بالاختبار الإسقاطي الذي ارتبط باسمه (اختبار رورشاخ Rorschach test - 1921)، وهو اختبار بقع الحبر نفسه، إلا أن رورشاخ طوره وقننه، وصار هذا الاختبار من أكثر الوسائل الإسقاطية استخداماً في المجالات التشخيصية، ويشمل على عشر بطاقات عبارة عن لوحات موسومة ببقع من الحبر يتفاوت فيها السواد والبياض والظلال، ومنها ثلاث بطاقات بألوان مختلفة. وتعطى البطاقات للمفحوص تباعاً ليدلي فيها رأيه، وما تمثله أشكالها، سواء ككل أو كتفاصيل، وباعتبارات اللون، والظل، والحركة، والمضمون ومعقوليته، وسرعة التجاوب مع كل ذلك، والشعور بالألفة مع المحتوى المفترض. ويكشف الاختبار عن أبعاد الشخصية، كقربها من الواقع، وتراثها العقلي، والياتها الدفاعية.

ورورشاخ عاش في العصر الذهبي لحركة التحليل النفسي، وتتلمذ على يدي Eugen Bleuler، وقرأ لفرويد Sigmund Freud ويونغ Carl Gustav Jung، وهؤلاء الثلاثة هم الذين تأثر بهم وشكلوه علمياً. وكان أبوه معلم رسم، واشتهر رورشاخ بمسوداته أو سكتشاته التي كان يرسمها بالحبر، حتى أسموه وهو بعد تلميذ في المدرسة الثانوية باسم (بقعة الحبر Kleck). وعندما كان يدرس الطب النفسي بجامعة زيورخ، ثم وهو تلميذ على بلويلر في دراساته للدكتوراه (1912) كان يقدم رسوماته للمفحوصين، ويطلب منهم

هيرمان رورشاخ Hermann Rorschach ((1884- 1922 سويسري، اشتهر بالاختبار الإسقاطي الذي ارتبط باسمه (اختبار رورشاخ Rorschach test - 1921)، وهو اختبار بقع الحبر نفسه، إلا أن رورشاخ طوره وقننه، وصار هذا الاختبار من أكثر الوسائل الإسقاطية استخداماً في المجالات التشخيصية

أن يحذوا حذوه، وأن يحكوا عن أفكارهم ومشاعرهم وتصوراتهم تجاه هذه الأشكال، ويحلل لهم ما يرونه ويحاول سبر أغوار شخصياتهم. ولما كان في كلية الطب بزيورخ تابع اسكتشاته ورصد استجابات الناس المفحوصين. وظلت هذه الهواية معه مدة اثنتي عشرة سنة، إلى أن كان تحضيره للدكتوراه، فكانت دراسته المتعمقة للاستجابات مدة أربع سنوات. وحصل على الدكتوراه في الهلوسات، وتأكد بها اهتمامه بالباثولوجيا النفسية. وظهر هذا الاتجاه الفني عنده مرة أخرى عندما تزوج زوجته الروسية أولغا ستملين وأغرته بالسفر معها إلى موسكو والعمل بمصحاتها. وفي روسيا انخرط في الدراسات الأدبية الروسية، وتعلم اللغة، وحاول أن يمارس الكتابة الروائية بطريقة جديدة، استخدم فيها منهج التحليل النفسي، واختار مجال السيرة، وأن يكتب عن بوشكين ودوستويفسكي. والتحليل النفسي الذي برع فيه رورشاخ تحصل له العلم به من مصادر ثلاثة كما سبق أن ذكرنا: من Eugen Bleuler و فرويد Sigmund Freud ويونغ Carl Gustav Jung في اكتشاف التحليل النفسي، وقد تتلمذ رورشاخ عليه، وأشرف بلويلر Sigmund Freud ويونغ Carl Gustav Jung على رسالته للدكتوراه، ومن فرويد الذي كان يقرأه بشغف، ثم من يونغ وقد عاصره في زيورخ. وهؤلاء الثلاثة صنعوا حركة التحليل النفسي وطبعوها بطابعهم. وشارك رورشاخ في الحركة في تواجدها في سويسرا، وغدا نائب رئيس جمعية التحليل النفسي السويسرية. وكان منهج رورشاخ تجريبياً، وقد نبه هو نفسه لذلك في مقدمة كتابه في (التشخيصات النفسية 1921 – Psychodiagnostics)، ولعله لهذا كان تصميمه للاختبار الذي اشتهر به. وهو يقول إن هدفه منه سبر أغوار الشخصية، أو الكشف عما يسميه هو بمصطلحه نمط الخبرة Erlebnistypus، وهو ما يترجمه عنه المترجمون شارحين للمصطلح بقولهم مرة بأنه نمط حياة الشخصية، ومرة بأنه نمط خُلُق الشخصية. وتشرح زوجته أولغا رأيه فيما

يشمل على عشر بطاقات عبارة عن لوحات موسومة ببقع من الحبر يتفاوت فيها السواد والبياض والظلال، ومنها ثلاث بطاقات بألوان مختلفة

تعطى البطاقات للمفحوص تباعاً ليدلي فيها رأيه، وما تمثله أشكالها، سواء ككل أو كتفاصيل، وباعتبارات اللون، والظل، والحركة، والمضمون ومعقوليته، وسرعة التجاوب مع كل ذلك، والشعور بالألفة مع المحتوى المفترض. ويكشف الاختبار عن أبعاد الشخصية، كقربها من الواقع، وتراثها العقلي، وآلياتها الدفاعية.

عندما كان يدرس الطب النفسي بجامعة زيورخ، ثم وهو تلميذ على بلويلر في دراساته للدكتوراه (1912) كان يقدم رسوماته للمفحوصين، ويطلب منهم أن يحذوا حذوه، وأن يحكوا عن أفكارهم ومشاعرهم وتصوراتهم تجاه هذه الأشكال، ويحلل لهم ما يرونه ويحاول سبر أغوار شخصياتهم

في روسيا انخرط في الدراسات الأدبية الروسية، وتعلم اللغة، وحاول أن يمارس الكتابة الروائية بطريقة جديدة، استخدم فيها منهج التحليل النفسي، واختار مجال السيرة، وأن يكتب عن بوشكين ودوستويفسكي

ينبغي أن تكون عليه الشخصية السوية– وهي المعيار الذي تقاس عليه الاستجابات على اختبار رورشاخ– أنها الشخصية التي يتوازن فيها الانطواء مع الانبساط. وتنقل عنه أن الشخصية المثالية هي التي يستوي فيها الميول للداخل والخارج Ambiequal، فلا هي متمركزة حول ذاتها، ولا هي مسرفة في الاعتماد على الغير.

شارك في المراجعة:

– د. هبة الكردي – المانيا

– د. ليلى الصوافه– فرنسا

Jean- Jaques Rousseau جان جاك روسو

جان جاك روسو (1712- 1788 Jean- Jaques Rousseau) الفيلسوف الاجتماعي والمنظّر التربوي الفرنسي الأصل والسويسري الجنسية، وله في مجال علم النفس التربوي مقال "في التربية أو إميل Émile ou de l'Éducation"، ويعتبر فيه رائداً لهذا العلم، وواضع أسسه. والحق أن مقاله ذاك هو سلسلة من عدة مقالات تؤصل لنظرية في علم النفس الاجتماعي، كان أولها "مقال في العلوم والفنون Discours sur les Sciences et les Arts" (1750)، ثم "مقال في أصل التفاوت بين الناس Discours sur l'Origine et les Fondements de l'Inégalité, parmi les Hommes" (1954)، ثم المقال السابق "في التربية أو إميل" وقد نشره مع المقال الرابع "في العقد الاجتماعي Du Contract Social"(1762). ويقوم مذهبه على النقد الشديد للمدنية الأوروبية، بما تفرضه على الإنسان من حاجات وأهداف مزيفة، تنسيه واجباته كإنسان، وتضلّه عن حاجاته الطبيعية، وتجعله ضحية تناقضاته الداخلية، وضحية اللا مساواة التي تفرضها تشريعاته، وتمثل في تاريخه السقوط من حال السعادة في المجتمعات الطبيعية إلى حالة البؤس في المجتمع الحضاري. ويصف روسو العلوم والفنون والآداب بأنها تكمل ظاهر الإنسان فقط ولا تكمل باطنه، وكلما تقدمت أمعنت في إفساده، لأنها لا تعبر عن حاجاته وعلاقاته الحقيقية.

جان جاك روسو Jean- Jaques Rousseau ((1712- 1788 الفيلسوف الاجتماعي والمنظّر التربوي الفرنسي الأصل والسويسري الجنسية، وله في مجال علم النفس التربوي مقال "في التربية أو إميل Émile ou de l'Éducation"، ويعتبر فيه رائداً لهذا العلم، وواضع أسسه. والحق أن مقاله ذاك هو سلسلة من عدة مقالات تؤصل لنظرية في علم النفس الاجتماعي

يقوم مذهبه على النقد الشديد للمدنية الأوروبية، بما تفرضه على الإنسان من حاجات وأهداف مزيفة، تنسيه واجباته كإنسان، وتخلّه عن حاجاته الطبيعية، وتجعله ضحية تناقضاته الداخلية، وضحية اللا مساواة التي تفرضها تشريعاته

يصف روسو العلوم والفنون والآداب بأنها تكمل ظاهر الإنسان فقط ولا تكمل باطنه، وكلما تقدمت أمعنت في إفساده، لأنها لا تعبر عن حاجاته وعلاقاته الحقيقية

يقترح روسو كعلاج نظرية في التربية ومنهجاً في التعليم يقومان على تربية الأطفال في الريف بعيداً عن التأثيرات الحضارية الزائفة

ويقترح روسو كعلاج نظرية في التربية ومنهجاً في التعليم يقومان على تربية الأطفال في الريف بعيداً عن التأثيرات الحضارية الزائفة، وتنقسم إلى مرحلتين، الأولى سلبية يُترك فيها الأطفال على سجيتهم مع عالم الأشياء يكتشفونها بأنفسهم، وينمّون قدراتهم بالاحتكاك المباشر بها، والاعتماد على الحواس، والتعلم بالمحاولة والخطأ، فإذا بدأ الطفل يعي الآخرين ويطأ عالم الناس بعد عالم الأشياء، بدأت تربيته إيجابياً، وبدأ إدراكه للضرورة، وانتقاله من حال الطبيعة إلى حال الاجتماع، ومن الغريزية والتلقائية إلى التعقل والأخلاق. والطفل عندما يعيش وفق طبيعته يعيش المعنى الخيّر المطبوع عليه، ولكنه عندما يعيش في مجتمع يطلب الفضيلة، ولذلك لا تتحقق الأخلاق مع السياسة، فلكي يكون الإنسان أخلاقياً ينبغي أن يكون اجتماعياً، ولكي يكون اجتماعياً ينبغي أن يكون سياسياً، ولا يبلغ الإنسان نضج الشخصية إلا عندما يسهم مع الآخرين في النفع العام. والناس في المجتمع الصالح متساوون، لكن بعضهم سيحاول دائماً الافتراء على حقوق غيرهم والاستبداد بالسلطة والثروة، والإنسان لا يمكن أن يكون إنساناً إلا في الحرية، ونزع الحرية عن الإنسان هو إلغاء مسؤوليته عن أفعاله، ولنتجنب اللا مساواة والظلم ينبغي أن يدخل الجميع في عقد أو دستور يلتزمون بطاعته، ويمارسون حريتهم في ظله، ولا تكون الطاعة للحاكم ولكنها للإرادة العامة التي تعلو على كل إرادات الأفراد، وليست الإرادة سلطة خارجية ولكنها التجسيد الموضوعي للطبيعة الأخلاقية للإنسان، لأنه إذ يطيع القانون يجسد انتماءه الأخلاقي للمجموع، ويحقق لنفسه حريتها بإطاعة القانون الذي ارتضاه لنفسه.

والتربية التي يقول بها روسو يجب أن تتوجه لمعاونة الطفل في تحصيل المعارف والقيم بنفسه، إلا أن المربي لا يقف متفرجاً إذا رآه يعرّض نفسه للخطر بقلة تجربته، بل ينبهه وينهاه بقوة، ويجتهد أن يقصي الطفل عن

جميع المؤثرات المصطنعة إلى أن يصبح نفسه ويختار لنفسه. وليحذر أن يكون الطفل ابن العادة، فالعادة الوحيدة التي ينبغي أن يتعلمها الطفل هي أن لا تكون له عادة، وإلا لم تكن تربيته طبيعية.

وعليه أن يصل بالملاحظة الشخصية إلى استكشاف الضروري له في العلم والفن فلا يلقن دروساً شفوية. ثم ليعلّم حرفة يدوية، ويعلم الأخلاق، وحب الإنسانية، وضبط النفس، وصرفها عن أهوائها وشهواتها، ويعلم أن له نفساً، وأن الوجود لا بدّ له من علة.

والتعليم الذي يقول به روسو متدرج، والفكر يقوم على الأحاسيس، وتتحد الأحاسيس ليكون للطفل منها منطق حسي، يتعلمه بعينيه وأذنيه ويديه وكل حواسه. وتتولد الأفكار من الأحاسيس، وتتحد الأفكار ليكون له منها منطق فكري.

وليلاحظ المربي أو المعلم أن الطفل يعجز في أول أمره عن التفكير المجرد، وأن يخوض فيما لا يدركه إدراكاً حاضراً، ولا يستنفر تفكيره إلا المحسوس. والمربي يضع في اعتباره مراحل نمو الطفل، وأن لكل مرحلة مقتضياتها. وينبغي أن تكون التربية التي يؤخذ بها الطفل وظيفية، وأن تتكيف مع عمر الطفل، وأن تكون غايتها تكوين المواطن المسؤول الحر. والطفل حين يصطدم أثناء عملية تنشئته بالواقع، فإنه يتعلم تحديد رغباته وتطويع نفسه لقانون الأشياء، ويصبح أكثر واقعية.

الطفل عندما يعيش وفق طبيعته يعيش المعنى الخيّر المطبوع عليه، ولكنه عندما يعيش في مجتمع يطلب الفضيلة، ولذلك لا تتحقق الأخلاق مع السياسة

الناس في المجتمع الصالح متساوون، لكن بعضهم سيحاول دائماً الافتراء على حقوق غيرهم والاستبداد بالسلطة والثروة، والإنسان لا يمكن أن يكون إنساناً إلا في الحرية، ونزع الحرية عن الإنسان هو إلغاء مسؤوليته عن أفعاله

لتتجنب اللا مساواة والظلم ينبغي أن يدخل الجميع في عقد أو دستور يلتزمون بطاعته، ويمارسون حريتهم في ظله، ولا تكون الطاعة للحاكم ولكنها للإرادة العامة التي تعلو على كل إرادات الأفراد

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه- فرنسا

Géza Róheim جيزا روهايم

جيزا روهايم Géza Róheim (1891- 1953) أميركي من أصل يهودي مجري، يعتبر رائد تطبيق التحليل النفسي في مجال الأنثروبولوجيا، وكان من أوائل من خرجوا على نظريات فرويد في هذا المجال. ورغم أنه كان في أول حياته الأكاديمية من المعجبين بفرويد وأخذ عنه من خلال ساندور فيرينزي Ferenczi Sándor أحد أتباع فرويد المقربين، إلا أن اتجاهاته الأنثروبولوجية الثقافية باعدت بينه وبين التحليل النفسي في تطبيقاته على الفرد، وجعلته يحاول أن يجرب هذا العلم الجديد في مجال تخصصه وهو الفولكلور والعادات الاجتماعية عند البدائيين.

وروهايم تلقى العلم في بودابست وبرلين، وعلّم التحليل النفسي والأنثروبولوجيا في معهد التحليل النفسي ببودابست، ثم في نيويورك، وكان منذ طفولته بقلبه وفكره مع القصص الشعبي، وكان أول بحث له في قصص التنين والأبطال من أفراد الشعب الذين يتصدون لقتله Dragons and Dragon Killers (1911)، كما كان آخر بحوثه "أبواب الحلم The Gates of the Dream" (1952) وهو دراسة في الصلة بين مواد ورموز الحلم ومواد ورموز القصص الشعبي. وكان إعجاب روهايم بفرويد من خلال كتابه الأخير "الطوطم والمحرم" وفيه وجهة نظر فرويد ومدرسته في التحليل النفسي في تفسير الثقافة. وفي سنة 1921 وكان وقتها لم يزل وفياً لفرويد، كتب بحثاً في الطوطمية عند الأستراليين البدائيين، وكان فيه من أنصار

جيزا روهايم Géza Róheim (1891- 1953) أميركي من أصل يهودي مجري، يعتبر رائد تطبيق التحليل النفسي في مجال الأنثروبولوجيا، وكان من أوائل من خرجوا على نظريات فرويد في هذا المجال

أن اتجاهاته الأنثروبولوجية الثقافية باعدت بينه وبين التحليل النفسي في تطبيقاته على الفرد، وجعلته يحاول أن يجرب هذا العلم الجديد في مجال تخصصه وهو الفولكلور والعادات الاجتماعية عند البدائيين.

فرويد، وحصل على جائزة فرويد لهذا العام، وشجعته الأميرة ماري بونابرت Marie Bonaparte على أن يقوم برحلة إلى جزر المحيط الهادئ ليدرس على الطبيعة قبائل هذه المناطق البدائية، وليرد على مالينوفسكي Malinowski الذي كان قد عارض نظريات فرويد في عقدة أوديب، وكانت حجته التي يستند إليها هي نظام المجتمع البدائي في تروبرياند، وهو مجتمع خؤولي، والعلاقة فيه بين الطفل وخاله وليست بينه وبين أبيه أو أمه، باعتبار أن سلطة الخال هي السلطة الأظهر. وسعى روهايم من جهته إلى تأييد فرويد، وأجرى بحثه في ثقافة الجماعات البدائية من قبائل أستراليا الوسطى وجزر نورمامبي، وهي قبائل السلطة فيها للأم وأخواتها وليست للأب والأعمام، وتوصل إلى نتائج خلاف نتائج مالينوفسكي، إلا أنه مع ذلك ناقض فرويد في أشياء، ففرويد كان يجعل الشعور بالذنب هو محور الثقافة، وأن الصراع الأوديبي هو الأساس في تكوين الأفراد، وهو الذي يطبع اتجاهاتهم، وكان دليل فرويد ما يسمى بالطوطم Totem، وهو الأب المفترض الذي ينحدر منه شعب القبيلة، وهو حيوان من الحيوانات. واحتفال القبيلة بالطوطم والمشاركة في أكل لحمه هو إحياء للجُرم الذي ارتكبه الأبناء في قديم العصور ضد أبيهم المفترض، وإحياء للصراع الأوديبي وتعبير عنه في أي عصر كان. ولم يرَ روهايم رأي فرويد تماماً، وقال إن المشاركة في أكل لحم الطوطم أو الأب المفترض نكوص للمرحلة الفموية، وإحياء لأوهام هذه المرحلة من مراحل التطور النفسي والجنسي للفرد، وأن العادات والتقاليد الشعبية واللا شعور الفردي والجماعي على العكس تؤكد جميعها أن الإنسان ابن طفولته، وأنه دائم الحنين لإحياء هذه الطفولة فيه، وأن جذور الثقافة ينبغي البحث عنها في طفولة الإنسان، وطفولة المجتمعات الإنسانية. وأن علاقة الطفل بأمه هي أقوى العلاقات، وهي أساس كل اجتماع إنساني لاحق، وأن هذه العلاقة يفرضها بيولوجياً الإنسان وتكوينه التشريحي، فمثلاً

روهايم تلقى العلم في بودابست وبرلين، وعلّم التحليل النفسي والأنثروبولوجيا في معهد التحليل النفسي ببودابست، ثم في نيويورك، وكان منذ طفولته بقلبه وفكره مع القصص الشعبي، وكان أول بحث له في قصص التنين والأبطال من أفراد الشعب الذين يتصدون لقتله

كان إعجاب روهايم بفرويد من خلال كتابه الأخير "الطوطم والمحرم" وفيه وجهة نظر فرويد ومدرسته في التحليل النفسي في تفسير الثقافة

تظهر الأسنان اللبنية في القردة العليا عقب الولادة مباشرة، ويظهر أول ضرس طاحن دائم بعد نمو الضرس اللبني الثاني. وهذا التغيير السريع يستتبع تطوراً سريعاً كذلك في تشريح الفك وكل الجمجمة. وأما في الإنسان فلا تنمو الأسنان اللبنية بكاملها إلا نحو نهاية السنة الثانية من الميلاد، ومن ثم كان اعتماد طفل الإنسان على الرضاعة لمدة أطول، ثم بعد ذلك هناك فترة تبلغ الأربع سنوات إلى أن تبدأ الضروس الطاحنة الدائمة في الظهور. ونظريات روهايم في الثقافة تستمد من اعتماد الإنسان على عناية الأم به لمدة طويلة. وتعكس وظائف الأنا فيه خصائص الطفولة الطويلة للإنسان، ولا تنضج فيه عملياته النفسية المختلفة إلا في المراهقة. ويحتاج طفل الإنسان دوناً عن أي من أطفال الثدييات الأخرى إلى حماية وتغذية لا بدّ أن يتوافرا له من خلال وسيط من خارجه. وتفرض عليه حاجاته البيولوجية والنفسية أن ترتقي روابطه بالآخرين من خارجه إلى روابط اجتماعية ووجدانية بالناس من حوله، وأن يلتصق بهم ويسعى إليهم. وهذه العلاقة الاعتمادية التي كانت له بالأم ثم بالمجتمع هي خصيصة بالإنسان. وهي الخاصية التي يقوم عليها الاجتماع الإنساني، ولها جانبها الإيجابي والسلبي، وقد ذكرنا الجانب الإيجابي فيها، وأما الجانب السلبي فهو ما تستقضيه من منافسات وما تخلّفه من وجود الغيرة، وما يستتبع ذلك من مشاعر القلق والخوف من الانفصال ومن العقاب (الإخصاء)، والإحساس بالضعف والعجز في كثير من الأحيان. وهذه الخاصية المزدوجة في الإنسان هي سبب التمايز فيه بين الأنا واللا أنا، أو بين الذات والعالم الخارجي، وهي أيضاً سبب إصرار الإنسان على البحث عما يكفيه ويشبعه ويدخل عليه السرور، وتجنب ما يكدره ويهدده ويستجلب عليه الحزن. وعلاقته بأمه هي أولى مصادر الإشباع وإدخال السرور عليه، وهي المصدر الأولي في حياته للسرور، كما أن غيابها وانفصاله عنها وافتقاده لها هو المصدر الأولي لانزعاجه وقلقه. وهو

كان قد عارض نظريات فرويد في عقدة أوديب، وكانت حجته التي يستند إليها هي نظام المجتمع البدائي في تروبرياند، وهو مجتمع خؤولي، والعلاقة فيه بين الطفل وخاله وليست بينه وبين أبيه أو أمه، باعتبار أن سلطة الخال هي السلطة الأظهر

ناقض فرويد في أشياء، ففرويد كان يجعل الشعور بالذنب هو محور الثقافة، وأن الصراع الأوديبي هو الأساس في تكوين الأفراد، وهو الذي يطبع اتجاهاتهم

يتعلم بحضورها وغيابها، ومن ثم يبدأ فيه التمايز أيضاً بين الهو والأنا، وتحل أنماط السلوك المتعلمة محل الغرائز أو أنماط السلوك الجاهزة المفطور عليها.

وتقوم نظرية روهايم في الأحلام على الأساس نفسه الذي تقوم عليه نظريته في الثقافة: أن الإنسان يريد بالأحلام أن تزاوج بين رغبته في أن يكون له عالمه المستقل، وأن يكون هذا العالم الذي هو عالمه غير منفصل عن عالمه السابق من طفولته. والأحلام عودة لعالم الطفولة، والنوم وسيلة أخرى للنكوص إلى دنيا الرحم في بطن أمه، والأحلام إعادة ترتيب للعلاقات بين العالمين الحاضر والماضي.

ونظريته في الثقافة تفسر ما عليه الإنسان من وجدانيات وسلوكيات عدوانية تتسم بالقلق ويحدوها أو يصنعها الانفصال وما يعانيه منه من مراحل حياته، وتفسر أيضاً محاولاته أن يتواصل وأن يستعيد في نفسه وعلاقاته بالناس الرابطة الأساس– رابطة الطفل بأمه. والانفصال لا ينتج إلا الإحباط، والإحباط يؤدي إما إلى العدوان وإما إلى الإصابة بالقلق. ويفسر روهايم الاحتفالات الطوطمية تفسيراً يخالف فرويد، وفي رأيه أنها تمثل عنده العدوان كرد فعل لقلق الانفصال، ويتمثل العدوان في قتل الطوطم أو ذبحه، ثم يلي ذلك محاولة رأب الصدع واستحداث الاجتماع وإنهاء الانفصال، بالأكل من الطوطم والمشاركة في الوليمة الاجتماعية. وليست عقدة أوديب عند روهايم مجرد ذكريات وتهاويم من الطفولة يتأثر بها السلوك لا شعورياً، وإنما هي محصلة العلاقات بين أفراد الأسرة الإنسانية في اضطرارهم إلى التعايش معاً عبر سنوات الطفولة الممتدة. والإنسان بحكم هذا التعايش الطويل في الطفولة هذه طبيعته، فهو أوديبي، وليست الطوطمية إلا أحد الحلول المتاحة التي يلجأ إليها الإنسان كعلاج لموقفه الأوديبي، أو تعبيراً عن طبيعته الأوديبية. وروهايم في النماذج التي قدّمها من المجتمعات البدائية في أستراليا يؤكد على

أن العادات والتقاليد الشعبية واللا شعور الفردي والجماعي على العكس تؤكد جميعها أن الإنسان ابن طفولته، وأنه دائم الحنين لإحياء هذه الطفولة فيه، وأن جذور الثقافة ينبغي البحث عنها في طفولة الإنسان، وطفولة المجتمعات الإنسانية. وأن علاقة الطفل بأمه هي أقوى العلاقات، وهي أساس كل اجتماع إنساني لاحق

علاقته بأمه هي أولى مصادر الإشباع وإدخال السرور عليه، وهي المصدر الأولي في حياته للسرور، كما أن غيابها وانفصاله عنها وافتقاده لها هو المصدر الأولي لانزعاجه وقلقه

أهمية العادات والتقاليد في تشكيل الطفل نفسياً بما تستحدثه من تكوينات هي ردود فعل على ما يلقاه من رعاية وعناية بحسب كل مجتمع، واستدماجه لردود الفعل هذه في تنشئته. وكلما كان المجتمع صغيراً وفي استكفاء ذاتي، كلما كانت الفرصة متاحة أن تصوغ العلاقة بين الأم وطفلها نمطاً سائداً من أنماط الشخصية يكون هو النمط العام في المجتمع، أو كلما كانت المشابهة النفسية بين أفراد هذا المجتمع أكبر.

وكما يقول روهايم فإن الإنسان قد اخترع الثقافة بسبب تأخر طفولته، وفي محاولته أن يسيطر على الواقع استطاع أن يخلق المجتمع أو يبدع هذا النمط من الوجود الذي قوامه التكامل بين أفراده، وبدلاً من أن تكون وسيلة الإنسان لذلك كما يزعم فرويد قتل الأب والزنا بالمحارم، فإن الإنسان صار له الأنا الأعلى وغريزة الاجتماع وتشكيل المجتمعات. وبدلاً من أن يكون دأب الإنسان هو الاستمساك بالوسائل القديمة البالية والنظم العفنة من حضاراته على زعم فرويد، فإنه يسعى إلى وسائل ونظم جديدة يكيّف بها حياته ويوفق بها بين نرجسيته وبين شخصية الأشياء من حوله. والثقافة في رأي روهايم هي نظام دفاعي ضد الخوف من فقدان الأشياء، وضد قلق الانفصال.

من أعمال روهايم: "أصل ووظيفة الثقافة The Origin and Function of Culture" (1943)؛ و "الحرب والجريمة والعهد War, Crime and the Covenant" (1945).

تقوم نظرية روهايم في الأحلام على الأساس نفسه الذي تقوم عليه نظريته في الثقافة: أن الإنسان يريد بالأحلام أن تزاوج بين رغبته في أن يكون له عالمه المستقل، وأن يكون هذا العالم الذي هو عالمه غير منفصل عن عالمه السابق من طفولته

بدلاً من أن يكون دأب الإنسان هو الاستمساك بالوسائل القديمة البالية والنظم العفنة من حضاراته على زعم فرويد، فإنه يسعى إلى وسائل ونظم جديدة يكيّف بها حياته ويوفق بها بين نرجسيته وبين شخصية الأشياء من حوله

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا

ثيوديـــل ريبـــو Théodule Ribot

ثيوديل ريبو Théodule Ribot (1839– 1916) أشهر معلم لعلم النفس في فرنسا في زمنه، فقد آل على نفسه أن يعرّف مواطنيه بأبعاد علم النفس في خارج بلده، فأصدر مجموعة من المؤلفات في الترابطية الإنكليزية، وفي التجريبية الألمانية، وكانت مؤلفاته شديدة الرواج، ولم يكن في فرنسا من علماء النفس من هو مقروء من الجمهور أكثر منه.

وريبو من تلاميذ إيبوليت تين Hippolyte Taine وهيربرت سبنسر Herbert Spencer ، وترجم للأخير مبادئ علم النفس، وكان تين وريبو من الداعين في فرنسا لعلم نفس وضعي وفسيولوجي، وأسس لذلك مجلة الفلسفة في فرنسا والخارج وضمّنها الكثير من المقالات في علم النفس. وفي كتابه "علم النفس الإنكليزي المعاصر La Psychologie Anglaise Contemporaine" (1870) يؤكد في المقدمة أن علم النفس لا بدّ من تخليصه من التبعية للمتافيزيقيا، وأنه ينبغي أن يتوجه توجهاً تجريبياً بيولوجياً، وأن تكون استعانته بالمنهج الاستبطاني في حدود.

وكانت مؤلفاته في بداية امتهانه للتأليف في علم النفس تاريخية يعرض فيها لتطوراته ويشرحها. وكتابه عن علم النفس الإنكليزي قد تناول فيه الترابطية الإنكليزية بدءاً من هارتلي David Hartley حتى صامويل بايلي Samuel Bailey. وقدم في كتابه "علم النفس الألماني المعاصر La Psychologie Allemande Contemporaine" (1879) أعمال

ثيوديل ريبو Théodule Ribot ((1839- 1916 أشهر معلم لعلم النفس في فرنسا في زمنه، فقد آل على نفسه أن يعرّف مواطنيه بأبعاد علم النفس في خارج بلده، فأصدر مجموعة من المؤلفات في الترابطية الإنكليزية، وفي التجريبية الألمانية، وكانت مؤلفاته شديدة الرواج

جوستاف فخنر Gustav Fechner ، ووليام فونت Wilhelm Wundt ، وهيرمان هيلمهولتز Hermann von Helmholtz، وغيرهم، ثم تناول في كتابه "فلسفة شوبنهاور 1874) "La Philosophie de Shopenhauer) النواحي السيكولوجية للشخصية التي يعرضها هذا الفيلسوف، وكانت تلك هي البداية فيما يبدو لاتجاهاته القادمة عن الشخصية من الناحيتين الوجدانية والغريزية. ويذهب النقاد إلى تقسيم التاريخ الفكري النفسي لريبو إلى مراحل، والمرحلة الثانية بعد تلك المرحلة السابقة هي التي اهتم فيها بعلم النفس المرضي ابتداءً من سنة 1880، وأصدر في هذه المرحلة الجديدة ثلاثة كتب هي "أمراض الذاكرة 1881) "Les Maladies de la Mémoire)، و "أمراض الإرادة 1883) "Les Maladies de la Volonté)، و "أمراض الشخصية 1885) "Les Maladies de la Personnalité). وقد لعبت هذه المفاهيم– الذاكرة والإرادة والشخصية– دوراً في تاريخ علم النفس التأملي في فرنسا، وأراد ريبو باستخدامها أن يخليها من معانيها المجردة ويجعل لها معانٍ عيانية، بأن يعرضها من خلال اختلال وظائفها عند المرضى بها، ودرس ريبو لذلك الاضطرابات التي تلحق الذات والشخصية باضطراب هذه الوظائف، ودراسة في Amnesia فقدان الذاكرة أو النسيان المرضي هي أفضل إسهاماته في هذا المجال.

ويقول المؤرخون والنقاد إن ريبو بدأ مرحلة ثالثة من مراحل تفكيره النفساني بكتابه "سيكولوجية الانتباه La Psychologie de l'Attention" 1888))، فقد هجر علم النفس العيادي وعلم النفس المرضي، وعاد إلى علم النفس السوي، وإلى دراسة الظواهر النفسية السوية، وكان كتابه "سيكولوجية العواطف 1896) "La Psychologie des Sentiments) خير مؤلفات هذه المرحلة، ومنهجه فيه بيولوجي يجعل من الظواهر النفسية ظواهر مصاحبة ومترتبة على العمليات الفسيولوجية، وهو المقصود من وصف

كانت مؤلفاته في بداية امتهانه للتأليف في علم النفس تاريخية يعرض فيها لتطوراته ويشرحها. وكتابه عن علم النفس الإنكليزي قد تناول فيه الترابطية الإنكليزية بدءاً من هارتلي David Hartley حتى صاموبل بايلي Samuel Bailey

يقول المؤرخون والنقاد إن ريبو بدأ مرحلة ثالثة من مراحل تفكيره النفساني بكتابه "سيكولوجية الانتباه La Psychologie de l'Attention" 1888))، فقد هجر علم النفس العيادي وعلم النفس المرضي، وعاد إلى علم النفس السوي، وإلى دراسة الظواهر النفسية السوية

سيكولوجية ريبو في هذه المرحلة بأنها سيكولوجية épiphénoméniste فالدوافع الفسيولوجية تشكل الأساس لمشاعرنا الأولية من اللذة والألم، ومراحل أخرى متطورة وأكثر تعقيداً من هذه الدوافع تشكل أيضاً الأساس للعواطف والانفعالات الأكثر تعقيداً. ويقول ريبو إن الحساسية العضوية كانت أسبق في التكوين من الوعي، وكانت المشاعر أسبق من الذهن. ويعرض ريبو في كتابه الأخير "الحياة اللا شعورية والحركات La Vie Inconsciente et les Mouvements" (1914) لظواهر النشاط شبه الشعوري باعتباره نشاطاً حركياً.

وريبو تعلّم بالسوربون وعلّم به، وشغل أول كرسي لعلم النفس التجريبي والمقارن بالكوليج دي فرانس Collège de France ، وقد أنشئ له خصيصاً وكان من تلاميذه بيير جانيه Pierre Janet وجورج ديماس George Demas.

كان كتابه "سيكولوجية العواطف La Psychologie des Sentiments" (1896) خير مؤلفات هذه المرحلة، ومنهجه فيه بيولوجي يجعل من الظواهر النفسية ظواهر مصاحبة ومترتبة على العمليات الفسيولوجية

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه- فرنسا

موسوعـــة الأعـــلام في العلـــوم النفسيـــة: حـــرف الثـــاء- الـــدال – الـــراء

إصـــدارات: مؤسسـة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2025

مؤسسة العلوم النفسية العربية
تكريم 2023
شبكة العلوم النفسية العربية
الأستاذ الدكتور عبد الرحمان إبراهيم
[استاذ الطب النفساني. سوريا]
بلقب
الحاصد في علوم وطب النفس
بعد ان تشرف مجلس إدارة المؤسسة العربية للعلوم النفسية اسناده لقب:
شخصية العام العربية 2023
في علوم وطب النفس
على هامش الأسبوع السنوي الثاني عشر لـ "شبكة العلوم النفسية العربية"
[الأسبوع الأول - جانفي 2023]
د.جمال التركي
رئيس مؤسسة العلوم النفسية العربية
2023/01/01